

# تعليقات وتعقيبات

## مشروعات ومقترنات

بدر الحسن القاسمي

(نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي الهندي)

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٥ - هـ ٢٠١٤ م

## تعليقات و تعقيبات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الأقليات المسلمة ..... تحديات و آمال

(الهند نموذجاً)

ورقة مقدمة

إلى ندوة الأقليات المسلمة  
ال المنعقدة بمدينة الدوحة في قطر  
في الفترة بين: ٢٠ - ٢٢ / م ٢٠٠٨

الحمد لله والصلوة والسلام على محمد ومن والاه و بعد:  
فإن "الأقليات" مسلمة كانت أو غير مسلمة هي جزء من  
المجتمعات الإنسانية وعلى الدول أن تراعي حقوق الأقليات ولا  
تمارس الظلم ضدها ولا تتركها في حالة قلق واضطراب لأنها تؤثر  
سلبا على استقرارها، وتعرقل مشاريعها التنموية، بل إذا شعرت  
مجموعة إنسانية بغض حقوقها وحرمانها من امتيازات المواطنة  
أو المعاملة غير العادلة معها فقد تلجأ إلى أنشطة معادية للبناء  
والتعفير.

يقول "ريتشارد ايلين" في كتابه: "الأقليات .... القضية القديمة لأوربا الجديدة":

"على زعمائنا السياسيين أن يدركون أن احتياجات الأقليات والمقيمين ومطالبهم سوف تشهد تزايداً وإصراراً، وعدم الاستجابة لها قد تؤدي إلى أنشطة إرهابية فلابد من مواصلة الحوار مع الأقليات وان ترك الحوار بحجة ميل الأقليات إلى العنف غير صحيح".<sup>(١)</sup>

و يقول اللورد ايكتون:

"إن خطوة صهر الأقليات في بوتقة الأكثريّة من قبل الحكومات بالإكراه أو محاولة الدولة لطرد الأقليات والخلص منها محاولة فاشلة غير مجديّة.

كذلك هروب الأقليات من المشاركة في حكومة الأغلبية وانعزالها عن المجتمع خطوة غير ايجابية ومدمرة".<sup>(٢)</sup>

ويقول كي، ايم بانيكر:

ليس بالإمكان أن ينسى صاحب أي ديانة كيانه وتشخصه و ان الذين يرفعون منهم شعار العلمانية هم علمانيون في ظاهر

---

(١) الهيئة المتزائدة ص: ٤٦٨.

(٢) الهيئة المتزائدة ص: ٤٦٨.

الأمر لكنهم لا يزالون متمسكون بانتسابهم الديني فلا يخرجون من دائرةهم في الحياة الاجتماعية والممارسات اليومية.<sup>(١)</sup>

إن الأقلية المسلمة في الهند أقلية ذات شأن يمكن أن تكون نموذجاً للأقليات المسلمة في البلاد الأخرى وذلك في نجاحها في الحفاظ على كيانها وعدم انصرافها في التيار الهنودسي الجارف بل وفي المحافظة على مراكزها ومؤسساتها أيضاً رغم كل ما واجهت من صعوبات وتحديات.

وإن سر بقاء الأقلية المسلمة بهذه الأعداد الهائلة بخصائصها<sup>\*</sup> متمسكة بدينها وعقيدتها يكمن في الأمور الآتية:

- وجود عدد كبير من المدارس الدينية الأهلية، و

استمرار سلسلة تحرير أفواج وأجيال من العلماء والدعاة غير طامعين في الوظائف الحكومية ولا راغبين في المراكز المالية الكبيرة. يقول الدكتور

محمد إقبال الشاعر الفيلسوف:

"كنت أرى أن هذه المدارس الدينية هي بدائية ومناهجها غير متطورة ولكنني أقول الآن بكل وضوح

---

Main stream 8-10-1994. (١)

وصراحة: أن بقاء المسلمين مرتبط ببقاء هذه الكتاتيب والمدارس الدينية الأهلية و إن إغلاقها يؤدي إلى انقراض المسلمين كما حصل في أرض الأندلس فاتركوها وحافظوا على ما هي عليه".

مواصلة جهود مضنية ومستمرة من أجل الحفاظ على قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين وعدم قبول القانون المدني الموحد لأنه يتنافي مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف و ان تجربة إقامة نظام قضائي خاص بقوانين الأحوال الشخصية للمسلمين في عدد من الولايات وعدم اللجوء إلى المحاكم المدنية في قضايا النكاح والطلاق والحضانة وما شابه ذلك ساهمت في حماية المسلمين من الذوبان في ثقافة الأغلبية.

عدم العزوف كليا عن الأنشطة السياسية، والقيام بدور فعال في إدارة شؤون البلاد وإيصال أكبر عدد ممكن إلى البرلمان.

التركيز على إبراز بنود الدستور ذات طابع علماني

بهدف إبقاء الحكومة وأجهزتها على حياد، فالعلمانية في الهند ليست بمعنى مخالفة الأديان كما يفهم في أوروبا، ففي المجتمعات الشبيهة بالهند ذات أغلبية هندوسية وبوذية ساحقة لا بدileل "للعلمانية" لحماية الأقليات والمحافظة على حقوقها.

لقد واجه المسلمين في الهند بعد استقلالها من الاستعمار البريطاني و انقسامها إلى دولتين ثم انشطارها إلى دولة ثالثة ظروفاً بالغ الصعوبة و بالغ التعقيد، قتل مئات الآلاف منهم أثناء تبادل السكان، و أدى إلى بقاء أكثر من مائة مليون كرهينة في أيدي الغالية الهندوسية خلو قطاع الشرطة والجيش إلى حد كبير من المسلمين، هذا الوضع قد جعل المسلمين أمام مستقبل محفوف بالمخاطر بسبب نزعة الطائفية والعنصرية والكراهية الدينية لدى فئة من الأغلبية.

و لقد أكدت الأيام أن قرار التقسيم الذي اتخذ تحت إشراف و تحطيط إنكليزي و حماس شعبي عارم غير مدروس من فئة من المسلمين لم يكن صائبا ولا حكينا وقد أدى إلى قتل و تشريد عدد كبير و تفكيك و تشتيت الباقيين منهم.

رغم كل ذلك لم يفقد الأقلية المسلمة الباقية في الهند الأمل و ان قادتهم المخلصون الذين لم يرضوا على ترك آلاف من المساجد والمدارس والمراکز الإسلامية والمغادرة من الهند و أكدوا العزم على البقاء مهما كانت الظروف و مهما يتطلب الوضع من تضحيات.

ويرجع الفضل - بعد فضل الله وحكمته - في تماسك الأقلية المسلمة والإصرار على البقاء إلى أولئك العلماء الأعلام الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين المبين و بذلوا ما يملكونه من غال ونفيس من أجل الذود عن حمى الإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين.

وكان في طليعتهم الشيخ الإمام محمد قاسم السانوتوبي مؤسس "جامعة ديويند" و زميله الشيخ رشيد أحمد الكنكوفي من كبار مشرفيها و تلميذه النابغة المجاهدشيخ الهند محمود الحسن وتلميذه ورفيقه في سجن "مالطا"شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى وآخرون.

إن تاريخ علماء الهند زاخر بالبطولات والتضحيات ولا تزال الأقلية المسلمة في الهند تستثير بأفكار الإمام السرهندي

والإمام الدهلوi و أنجاله و أحفاده الغر الميامين<sup>٩</sup> وما زالت معارك "بالاكوت" و "شاملي" و "بني بنت" ماثلة أمام أعينهم، و ما زالت شبكة المدارس الدينية الأهلية التي كانت بدايتها من ديبند والمنتشرة في كافة الأنحاء والأرجاء و كافة القرى والأرياف من غير تمويل حكومي أو دعم رسمي هي الدروع الواقية من كافة الهجمات الفكرية والإلحادية وهي صمام الأمان من مخاطر التلاشي والذوبان.

إن قضايا الأقليات ذات أهمية بالغة ترتبط بها مصالح مئات الملايين من البشر الذين يعيشون بينأغلبيات ذات ديانات و أعراق مختلفة ومتباعدة.

إن الأقليات إذا أهملت من قبل السلطات الحاكمة و ظلت على معاناتها على أيدي الأغلبيات فلا شيء يمكن أن تتحول تلك الأقليات مصدر قلق بل تتحول إلى قنابل موقوته تهدد أمن و استقرار حياة الأغلبيات، لذا يجب مراعاة حقوقها و منحها الحرية الكاملة المنضبطة بنظم وقوانين وعدم التفريط في ذلك.

إن التحديات التي تواجهها الأقلية المسلمة كثيرة من

أهمها:

- مشكلة الذوبان الثقافي و خطر فقد الهوية الإسلامية.
- محاولة التهميش السياسي و قلة مشاركة الأقلية في أنظمة الحكم و إدارة شؤون البلاد بما يتتوافق مع نسبتهم العددية.

بالإضافة إلى:

- قلة الموارد والإمكانات المادية.
- ضعف التنسيق والتنظيم بين المؤسسات والجماعات الخاصة بالأقليات.
- النزاع المتواصل بين الأغلبية والأقلية مع الانحياز الحكومي الواضح تجاه الأغلبية وعلى حساب مصالح الأقلية.

إن المشاكل بين الأقلية والأغلبية ليست مقتصرة على الهند ولا بين المسلمين والهندوس.

فهناك نزاع بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا، ونزاع بين المسلمين والهندوس والبوذيين في ماليزيا، وبين الهندوس والبوذيين في سري لنكا و نزاع عرقي بين التاميل

والسنن في سري لنكا. وصراعات دينية وعرقية في مختلف أنحاء العالم.

إن تجارب أكثر من خمسين عاماً الماضية تؤكد أن الاكتفاء بإبداء التملل على الوضع القائم أو إلقاء اللوم على الأغلبية أو الحكومة أو ترديد كلمات الشجب والاستنكار للأحداث لا يأتي بنتيجة في وقف مسلسل المذابح والاضطرابات الطائفية أو كسب التعاطف المحلي أو الدولي مع المسلمين خاصة في وقت حشد إعلامي عالمي ضد المسلمين عموماً.

ومحاولة الصاق التهم بهم في كل حادثة ورميهم بممارسة العنف ولو كانوا مظلومين تنتشر جثثهم وأشلاءهم. لذا يجب على الذين يريدون تخفيف معاناة الأقليات المسلمة أن يغيروا الإستراتيجية في التعامل مع الأحداث ويركزوا على الجوانب الآتية بعيداً عن الأساليب المتبعة لإثارة العواطف والمؤدية إلى مزيد من المعاناة وتعقيد المسائل:

١ - تشجيع الأقليات على قبول الأمر الواقع والتحرك في الدائرة المتاحة من الحرية أولاً ثم طلب المزيد منها

حسب القنوات الرسمية والقانونية.

٢- الاندماج في المجتمع مع التميز الكامل في العقيدة والالتزام بالمبادئ و عدم التنازل في ذلك.

٣- عدم الخروج على القوانين الإدارية العامة للدولة والتي لا تناقض أحكام الشريعة مع تحويل البيوت والمجتمعات الخاصة المسلمين إلى بيوت ومجتمعات نموذجية في الالتزام و حسن الخلق والتعامل مع الآخرين.

٤- عدم إثارة الجوانب الحساسة التي تفسر بالخيانة الوطنية والخروج على النظم القائمة.

٥- تكثيف الجهود لرفع مستوى المسلمين المعيشي والتعليمي و منافسة الآخرين في ذلك حيث أن جميع التقارير تؤكد ضعف مستوى التعليم في المؤسسات الخاصة المسلمين، كما أن التقارير التي أعدتها اللجان المشكلة من قبل الحكومة أو غيرها تثبت بلغة الحقائق والأرقام كون عدد كبير من المسلمين تحت خط الفقر، وارتفاع نسبة الأمية بين أبناءهم و هذا الأمر مقلق و

مخيف.

٦- تنظيم صف المسلمين و توفير المناخ الآمن لهم و تشكييل اللجان من أجل دعمهم و حمايتهم قانونيا.

٧- تنظيم الحوار مع العقلاة من أهل الديانات الأخرى بهدف التعايش الآمن.

إن "الهند" بتاريخها العريق و تراثها الأسطوري و أعراقها وأجناسها وأديانها تختلف عن الدول الأخرى و قد يمكّن الرياضي والفيلسوف أبو الريحان البيروني سمي كتابه "تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة" وهو تعبير واقعي و دقيق فالأسلوب الذي يمارس في حل مشكلة دولة من دول أفريقيا أو أوروبا و أمريكا اللاتينية قد لا ينفع في حل مشكلة توجد في الهند، فيجب مراعاة نفسية السكان وخلفية الأحداث بدقة ثم وضع الحلول لها.

إن مجتمع الهند مجتمع متعدد الأعراق واللغات يعيش فيه نحو سدس سكان العالم، فالهند ثاني أكبر دولة في العالم من ناحية السكان بعد الصين و يزيد عدد المسلمين فيها عن ١٤ % إلى ٢٠ % من إجمالي عدد السكان حسب التقارير

. المختلفة.

و مسألة الأقلية المسلمة في الهند معقدة و شائكة و مختلفة من ولاية إلى ولاية بل من مدينة إلى مدينة. و إن النزعة الدينية متغلبة في الشعب رغم أن الدولة ترفع شعار العلمانية، و إن معظم المنازعات والمخاصل تحدث بسبب الانتتماءات الدينية، فما زالت الحياة كلها دينا لا محيد عنها للشعب الهندي عموماً و ان التقاليد والطقوس مقبولة كانت أو مرذولة جزء من حياة الشعب الهندي. و يجدر بالذكر أن أحد المفكرين الفرنسيين كان وجه سؤالا إلى "جواهر لال نهرو" رئيس الوزراء الأسبق: ما هي أصعب قضية أمامك كرئيس وزراء الهند؟ فرد قائلا: "إقامة نظام عادل في الهند وإنشاء دولة علمانية في جو ديني عارم".

فرغم كل الشعارات لا تخلو المباني الحكومية والشوارع والمناسبات الرسمية من رموز دينية و طقوس و صور أسطورية. إن خلاصة تاريخ الهند منذ ألف عام "إن الإنكليز أخذوا السلطة بالقوة من أيدي المسلمين في عام ١٨٥٧ و سلموها

للهندوس في عام ١٩٤٧" وأصبح المسلمين بعد استقلال الهند من الاستعمار ثلاث فئات فئة انشأت على رقعة صغيرة دولة مسلمة هي باكستان و فئة أخرى انفصلت عنها و سمت دولتها: بنكله ديش و فئة ثالثة وهي الأكثـر عدداً ما زالت في الهند تناضل من أجل البقاء و تكافح من أجل الحفاظ على كيانها. وهي المقصودة من مصطلح الأقلية المسلمة في الهند تعيش في محـيط هندوسي و بوذـي جـارـف<sup>٩</sup> تـمـتـع بـحقـوق دستورية، ومواطـنة حـقـيقـية ولـهـا حقـ مـمارـسةـ الأـنـشـطـةـ السـيـاسـيـةـ والـمـشارـكةـ فـيـ الـاـنتـخـابـاتـ الـبـرـلـامـانـيـةـ وـلـكـهـاـ تـواـجـهـ أـحـيـاـنـاـ منـ تمـيـزـ دـينـيـ وـ عـرـقـيـ وـ تعـانـيـ مـنـ اـضـطـرـابـاتـ وـ أـحـدـاثـ دـامـيـةـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الأـحـيـانـ.

و يرجع ذلك إلى وجود فئة متطرفة من الهندوس و متغلـلةـ فيـ كـافـةـ أـجـهـزةـ الـحـكـومـةـ هيـ تـقـومـ بـشـكـلـ مـنـظـمـ بـتـسـمـيمـ الأـجـوـاءـ وـ تـحـريـضـ الـغـوـغـاءـ مـنـ النـاسـ لـشـنـ الـهـجـومـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ مـعـ غـيـابـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ أـجـهـزةـ الـشـرـطةـ وـ الـجـيـشـ بـشـكـلـ عـامـ.

إن حل مشكلة الأقلية المسلمة في الهند يمكن بالتحرك

**الذاتي والداخلي أولاً و ذلك من خلال العمل على خطين متوازيين:**

- الاهتمام بالبناء الذاتي و رفع المستوى التعليمي والمعيشي والقضاء على الظواهر السلبية في المجتمع المسلم.
- إقامة نظام قضائي على غرار نظام الإمارة الشرعية القائم في بعض الولايات يكون مرجعاً للمسلمين في قضايا النكاح والطلاق والوقف والميراث وجميع ما يتعلق بقوانين الأحوال الشخصية.
- تقوية هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين وجعلها أكثر فعالية للعمل على القنوات الرسمية والقانونية في الحصول على الحقوق المضمونة في الدستور و دفع الانتهاكات في هذا المجال.
- كما يجب الاهتمام بدفع ما علق في أذهان الأغلبية من ظلم المسلمين أيام حكمهم للبلاد و تخلص كتب المناهج الدراسية من الصورة المشوهة للمسلمين حتى لا تتربي الأجيال المتلاحقة على كره المسلمين و عاطفة الانتقام منهم، و هناك

شهادات كثیر من المؤرخين المصنفین من الهندوس تؤکد روح التسامح لدى الحکام المسلمين طوال تاريخهم المجید.  
كذلك يجب تنظیم أصوات المسلمين أثناء الانتخابات البرلمانية لایصال عناصر صالحة أو غير معادیة إلى البرلمان.  
إن الكثرة أو القلة ليست مقیاساً و میزانًا لقوّة أمة أو ضعفها و {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}.  
(البقرة: ٢٤٩)

و إن المسلمين في الهند أكبر دلیل على ذلك فقد حکموا البلاد من أقصاها إلى أقصاها و أقاموا فيها حضارة نموذجية استمرت قرونا وهم في الأقلية بين عدد هائل من البشر و جيش عرم من أتباع الديانات الهندوسية والبوذية الذين عاشوا في ظل الحکام المسلمين من أصول مملوکية و تركية و مغولية فلم تشهد الهند اتساعا كما كانت في عصر الإمبراطور المغولي عالمکیر الذي حکم الهند أكثر من نصف قرن، و غالبية الرعية من غير المسلمين ولكنهم عاشوا حياة سعيدة.

إن بقاء المسلمين في الهند في أقلية مع استمرار حکم

ال المسلمين نحو ثمانية قرون أوضح دليل على أن الحكم المسلمين لم يجرروا قوماً على اعتناق الإسلام و إن غير المسلمين تمتعوا طوال فترة حكم المسلمين بكامل الحرية بما في ذلك حرية العقيدة.

ففي الماضي كان المسلمون في أقلية وهم يديرون شؤون البلاد و يحكمون الهند بكامل السيطرة والهيمنة. واليوم يعيش المسلمون كأقلية بين أكثر من مليار نسمة من غير المسلمين ولهم قضاياهم و مشاكلهم. ولكن الأمر الأساسي الذي يجب التركيز عليه هو توفير المناخ الآمن لهم ثم رفع مستواهم التعليمي والاقتصادي، و حل مشكلة ثنوية التعليم و تطوير التعليم الديني بما ينسجم مع روح العصر و مقتضياته مع المحافظة على التأصيل الشرعي الدقيق والتمسك بالأصل و مواكبة العصر. هذه هي بعض الخطوط للعمل. والله ولي التوفيق،،،

\*\*\*

## دية المرأة بين التنصيف والتكميل

رد على استفسار فقهى كريم  
من إدارة الشئون الدينية بدولة قطر

تمهيد:

تلقى مجمع الفقه الإسلامي بالهند استفساراً فقهياً عن الخلاف بين العلماء في دولة قطر حول دية المرأة فقد تبنى البعض القول بتنصيف دية المرأة عن دية الرجل مستدلين بدليل الإجماع في المسألة القاضي بتنصيف دية المرأة وجوبه هذا القول بالرفض من قبل البعض الآخر وأثيرت الشبهات حول حجية الإجماع نفسه وإمكانية وقوعه والعلم به فهل تنصيف دية المرأة من دية الرجل أمر مجمع عليه؟ وإذا كان ذلك فهل يمكن الاجتهاد فيه مرة أخرى بهدف تسوية دية المرأة بدية الرجل؟

والجواب على الاستفسار سيكون من جزئين أحدهما يتعلق بحجية الإجماع والثاني بتنصيف دية المرأة . والله ولي التوفيق

## ١ - ثبوت الإجماع وحججته:

إن فكرة الإجماع نشأت بسبب حدوث قضايا جديدة في عصر الصحابة لم تكن معروفة قبل لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى. وإن إجماع الصحابة شكل من أشكال الاجتهاد الجماعي احتياطاً من الرعيل الأول في الدين وخوفاً من الوقع في الخطأ في حالة الاجتهاد الفردي، وكذلك التشدد في قبول الحديث النبوى الشريف في عصر الراشدين الجاهئ إلى جمع كبار الصحابة والتشاور معهم في قضايا مستجدة لا توجد فيها أحكام صريحة في القرآن أو السنة النبوية المأثورة فأصبح الحكم المجمع عليه بين الصحابة ملزماً لبقية المسلمين. ثم قام الفقهاء بتأصيل مبدأ الإجماع كمصدر تشريعى تكون درجة بعد الكتاب والسنة وقبل القياس، ولكن هذا المصدر الثالث أيضاً يستند إلى القرآن والسنة لأنه لا مجال في الإسلام للاستقلال بالرأي أو التشريع المستند إلى العقل المحيض. فأصبح الشعور لدى عامة الناس أن الاجتهاد إذا كان جماعياً فيوصف بالإجماع وإذا كان فردياً يوصف بالقياس في المفهوم العام ولكل

منهما ضوابط وشروط في مصطلح الفقهاء والأصوليين .  
وقد استند الصحابة إلى الإجماع في عدد من القضايا المهمة  
من بينها:

انتخاب الخليفة ومحاربة المرتدين، وعدم تقسيم الأراضي  
المفتوحة في العراق ومصر والشام، فكان الإجماع ينعقد  
بحضور العلماء لدى الحاكم ثم يتبعه المسلمون عموماً وقد كثر  
الإجماع في عصر الصحابة ثم انكمش في عصر التابعين بعد  
توزيع الفقهاء واتساع رقعة الإسلام وتشتت الآراء واختلاف  
المذاهب .

ولما برزت مذاهب الفقهاء الأعلام : أبي حنيفة ومالك  
والشافعي وأحمد رحمهم الله فكان رائدهم بعد الكتاب والسنة  
إجماع الصحابة وتمسك مالك بإجماع أهل المدينة كما أن أبا  
حنيفاً استند في عدد من القضايا إلى إجماع أهل الكوفة ومن  
بها من كبار الصحابة رضي الله عنهم وظل الفرق واضحاً بين  
إجماع الصحابة وبين اتفاق الفقهاء بعدهم .

وتناول الرواة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجتمع  
أمتى على ضلاله " وما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله

حسن. كما نقل الشافعی عن عمر رضي الله عنه : ألا من سره بحجة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد وأدعى البعض كثرة وقوع الإجماع حتى إن أبا إسحاق الاسفرايني قال : نحن نعلم ان مسائل الإجماع أكثر من عشرين ألف مسألة. <sup>(١)</sup>

لكن هذا العدد مبالغ فيه .

وقد عرف الإجماع بأنه : "اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي".

ويقتضي هذا التعريف أن يتفق جميع المجتهدين أو أكثرهم ، وان الرأي الفردي لا يعتبر إجماعا وان يصدر رأي واحد عن جميع من عقدوا الإجماع .

والإجماع على الأصح قد يتحقق في حكم بعض الجزئيات ، والعبرة لِإجماع المجتهدين وليس لِإجماع عامة الناس اعتبار وبالإجماع ينتقل الحكم من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين في بعض القضايا.

---

<sup>(١)</sup> فواتح الرحموت : ٢١٢ / ٢ .

وقد نص الفقهاء على أن حكم الإجماع أن يثبت المراد به على سبيل اليقين بأن يكون موجباً للحكم قطعاً كالكتاب والسنّة وهو قول جمهور العلماء .<sup>(١)</sup>

ويرى النظام من المعتزلة والشيعة والخوارج : ان الإجماع ليس بحجة إلا إجماع أئمة آل البيت عند الشيعة .

وان المثبتين والمنكرين كلهم استدلوا بآيات وأحاديث ثم ان الإجماع أنواع وله مراتب ودرجات كما يقول البزدوي وغيره من الأصوليين أن :

" الإجماع مراتب، فإنما الإجماع الصحابة مثل الكتاب والسنّة المتواترة وإجماع من بعدهم من التابعين وتابعهم بمنزلة الخبر المشهور"

والإجماع الذي وقع فيه الخلاف في العصر السابق بمنزلة خبر الواحد وبناء على ذلك لا يصح إطلاق القول بتكفير منكر حكم الإجماع .<sup>(٢)</sup>

والإجماع قد يكون صريحاً وقد يكون سكوتياً وهو أن يقول بعض المجتهدين في العصر الواحد قوله في مسألة ويُسكت

<sup>(١)</sup> المستصفى : ١ / ١٢٤ .

<sup>(٢)</sup> التقرير والتحبير : ٣ / ١١٣ - فواتح الرحموت : ٢ / ١١٣ .

الباقيون بعد اطلاعهم على هذا القول، من غير إنكار .  
ومن أمثلة الإجماع في عصر الصحابة : إمامية أبي بكر رضي  
الله عنه، وتحريم شحم الخنزير قياسا على تحريم لحمه،  
والإجماع على أن حد الشارب ثمانون جلدة قياسا على حد  
القاذف .

وفي ضوء ما سبق نقول ردا على الاستفسار :  
أن "الإجماع" هو اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية  
على حكم شرعي وقد اتفق علماء المسلمين على اعتبار  
الإجماع حجة ودليلا شرعيا وان اختلفوا فيمن يعتبر اتفاقهم  
إجماعا .

ويرى جمهور الفقهاء ان الإجماع ممكن بل هو واقع في  
عصر الصحابة حيث اتفق الصحابة على نصيب الجدة من  
الميراث .

كذلك وقع الإجماع على أن الاخوة والأخوات لأب  
يقومون مقام الأشقاء إن لم يكن الأشقاء موجودين كما اجمعوا  
على بطلان زواج المسلمة بغير المسلم وعلى الأراضي المفتوحة  
بأنها لا توزع على الفاتحين في الغنائم .

وبعد دراسة ما جرى من مناقشات في إمكانية الإجماع وما أبداه الإمام الشافعي رحمه الله من إشكالات وما أنكره الإمام أبو يوسف على الإمام الأوزاعي من دعوى الإجماع يتراجع عندي أن الإجماع كان ممكناً في عصر الصحابة أما عصر التابعين وما بعدهم من عصور الفقهاء فلا يصح وصف اتفاقهم بالإجماع الحقيقي واعطاء اتفاق عدد كبير من الفقهاء صبغة الإجماع وتکفير أو تفسيق من يخالف مثل هذا الاتفاق غير الملزم .

فيجتمع الصحابة أمر معروف والمسائل المجمع عليها يعرفها القاصي والداني أما فيما بعد عصر الصحابة فهناك قضايا اتفق عليها أصحاب المذاهب الأربع من غير تنسيق سابق بينهم أو اتفاق بين أتباعها ولكن لا تعتبر هذه المسائل إجماعية بالمعنى الدقيق وإن وقع إطلاق الإجماع عليها في تعبير بعض الفقهاء .

ولعل هذا هو المراد بقول الإمام أحمد : أنه من ادعى الإجماع فقد كذب " يقول صاحب فواتح الرحموت : وقول الإمام أحمد محمول على انفراد إطلاع ناقله فإن الإجماع أمر

عظيم يعد كلَّ الْبَعْدَ أَنْ يَخْفِي عَلَى الْكَثِيرِ وَيَطْلُعُ عَلَيْهِ الْوَاحِدُ  
أَوْ مَحْمُولٌ عَلَى حَدُوثِهِ الْآنَ<sup>(١)</sup> وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ نَفْسَهُ احْتَاجَ  
بِالْإِجْمَاعِ وَاعْتَرَفَ بِجَمِيعِ مَا أَثْرَ مِنْ الصَّحَابَةِ مِنْ مَسَائِلِ  
إِجْمَاعِيَّةٍ .

ثُمَّ هُنَاكَ أَمْوَارٌ حَدَثَتْ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ بِأَكْمَلِهَا مُثْلِ جَمِيعِ  
الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ وَقَتَالَ أَهْلَ الرَّدَّةِ فِي عَصْرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ .

كَمَا قَدْ رَفَعَ الْإِجْمَاعُ بَعْضَ الْمَسَائِلِ الظَّنِينَيَّةَ إِلَى درجة  
"الْقَطْعِيَّةِ" حَيْثُ أَنَّ الْفَقَهَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى حِرْمَةِ الْجَمْعِ بَيْنِ  
الْمَحَارِمِ فِي النِّكَاحِ فَلَا مَجَالٌ لِلَاخْتِلَافِ فِيهِ مَعَ أَنَّ سَنَدَ  
الْإِجْمَاعِ وَهُوَ حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَنْكِحُ  
الْمَرْأَةَ عَلَى عَمْتَهَا وَلَا عَلَى خَالِتَهَا " كَانَ دَلِيلًا ظَنِينًا مِنْ نَاحِيَّةِ  
الْبَثُوتِ كَذَلِكَ مِيرَاثُ الْجَدَةِ أَصْبَحَ أَمْرًا قَطْعِيًّا لَا يَصْحُ  
الَاخْتِلَافُ فِيهِ .

أَمَّا مِنْ نَاحِيَّةِ الْمَرَاتِبِ لِلْإِجْمَاعِ فَالْإِجْمَاعُ الصَّرِيحُ مِنْ عَصْرِ  
الصَّحَابَةِ حَجَةٌ قَطْعِيَّةٌ ، أَمَّا الْإِجْمَاعُ السَّكُوتِيُّ فَلَمْ يُعْتَدْ إِلَيْهِ الْإِمَامُ

---

<sup>(١)</sup> فَوَاتِحُ الرَّحْمَوْنَ : ٢١٢ / ٢ .

الشافعي حجة وقد أيد الشافعي في هذا الرأي بعض الفقهاء الآخرين بينما يرى البعض الآخر أن الإجماع السكوتى أيضا إجماع ولكنه ليس على درجة الإجماع الصريح وهناك اتجاه ثالث بأنه حجة ولكن ليس بإجماع. وقد ثبت إجماع الصحابة بالتواتر فلم يختلف في إجماعهم أحد يعتبر باختلافه فالحاصل أن الإجماع حجة قطعية ويجب أن يكون نقله أيضا قطعيا متواترا من أجل ذلك يرى الإمام فخر الدين الرازي من علماء الأصول ان الإجماع المنقول بأخبار الآحاد لا يعد حجة ويرى بعض الأصوليين بجواز نقل الإجماع بأخبار الآحاد. أما نقض الإجماع السابق بإجماع آخر لاحق فجمهور الفقهاء لا يرون قيام إجماع بعد إجماع لأنه يكون مصادما للإجماع الأول إذ كون الإجماع الأول حجة يمنع القول بخلافه فضلا أن يجمعوا خلافه فلا عبرة بالإجماع الثاني لأنه يعد نسخا للإجماع السابق ولكن يرى البعض الآخر جواز إجماع آخر ناقض للإجماع السابق.

أما ما يتعلق بدية المرأة بأنها هي نصف دية الرجل كما هو المعروف؟ أم أنها مساوية لدية الرجل؟ وما هو المستند للإجماع

السابق؟ وهل يصح نقض هذا الإجماع بإجماع آخر أم لا ؟  
فأقول :

٢ - دية المرأة هل هي نصف دية الرجل؟

إن "الدية" مال يجب بقتل إنسان مصون الدم أو بسبب الجنائية على أطرافه فتكون دية النفس ودية الأعضاء كما تكون الدية مغلظة وغير مغلظة على اختلاف أسباب الوجوب وقد أجمع أهل العلم على وجوب الدية بشروطها صيانة لدم الإنسان عن الهدر فقد نص الفقهاء على أن دية الذكر الحر المسلم هي مائة من الإبل أو ما يقوم مقامها على اختلاف بين الفقهاء بأن الدية تكون من الإبل والذهب والفضة والبقر والغنم والحلل أو من بعض الأصناف منها فقط والأصل في وجوب الدية هو قوله تعالى :

( ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ) ( النساء : ٩٢ )

وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما كتبه لعمرو بن حزم وأرسله إلى أهل اليمن وبين فيه الفرائض والسنن والديات

ورد فيه : " وإن في النفس مائة من الإبل " <sup>(١)</sup>  
وكتاب عمرو بن حزم رواه مالك في موطئه والنسائي في  
سننه وقال فيه ابن عبد البر : هو كتاب مشهور عند أهل السير،  
ومعروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرته عن الإسناد .  
و هذا القدر شبه متفق عليه بين الفقهاء .

كما اتفق الفقهاء على أن دية المرأة في القتل نصف دية  
الرجل أخذها بما جاء في كتاب عمرو بن حزم نفسه :  
أن " دية المرأة على النصف من دية الرجل "

وقد أجمع الصحابة على هذا فيروى عن عمر وعلي  
وعثمان وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت رضي  
الله عنهم أنهم قالوا : أن دية المرأة على النصف من دية الرجل  
ولم ينقل أن أحداً أنكر عليهم ذلك فيكون إجماعاً وأن المرأة  
في ميراثها وشهادتها على النصف من الرجل فكذلك ديتها. <sup>(٢)</sup>

قال ابن المنذر وابن عبد البر : أجمع أهل العلم على أن  
دية المرأة نصف دية الرجل لما روی معاذ عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : " دية المرأة على النصف من دية الرجل "

(١) تبيين الحقائق : ٦/١٢٦ - ١٢٧ . بدائع الصنائع : ٧/٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) المغني : ٧٩٧/٧ . المهدب : ٢١١/٢ . شرح الدردier : ٤/٢٣٨ .

(١)

لَكُنَ الْفَقِهَاءِ اخْتَلَفُوا فِي دِيَةِ الْأَطْرَافِ فَقَالَ الْحَنْفِيَةُ  
وَالشَّافِعِيَةُ أَنَّهَا عَلَى النَّصْفِ مِنْ دِيَةِ أَطْرَافٍ وَجَرَاحِ الرَّجُلِ أَيْضًا  
لَمَّا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَقْلُ الْمَرْأَةِ عَلَى النَّصْفِ  
مِنَ الرَّجُلِ فِي النَّفْسِ وَفِيمَا دُونَهَا .

وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبْنَ سَيْرِينَ وَبِهِ قَالَ الشُّورِيُّ وَاللَّيْثُ وَابْنُ أَبِي  
لِيلَى وَابْنِ شَبَرْمَهُ وَأَبْو ثُورٍ وَاخْتَارَهُ أَبْنَ الْمَنْذَرَ لِأَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ  
شَخْصَانِ تَخْتَلِفُ دِيَتَهُمَا فِي النَّفْسِ فَاتَّخَلَفَتِ الْأَطْرَافُ .  
وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ :

تَسَاوَى الْمَرْأَةُ الرَّجُلَ فِي دِيَةِ الْأَطْرَافِ إِلَى ثُلُثِ دِيَةِ الرَّجُلِ  
فَإِذَا بَلَغَتِ الْثُلُثَ رَجَعَتِ إِلَى عَقْلِهَا فَإِذَا قُطِعَ لَهَا ثَلَاثُ أَصَابِعٍ  
فَلَهَا ثَلَاثُونَ مِنِ الْإِبْلِ كَالرَّجُلِ، وَإِذَا قُطِعَ لَهَا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ فَانِهَا  
تَأْخُذُ نَصْفَ مَا يَأْخُذُهُ الرَّجُلُ : أَيْ تَأْخُذُ عَشْرِينَ مِنِ الْإِبْلِ .

رَوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ  
بْنُ الْمُسَبِّبِ وَعُمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعُرُوهَةَ وَالْزَهْرِيِّ وَهُوَ قَوْلُ  
فَقِهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ وَذَلِكَ لَمَّا رَوَى عُمَرُ بْنُ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ

---

(٢) دِيَةُ الْمَرْأَةِ عَلَى النَّصْفِ مِنْ دِيَةِ الرَّجُلِ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَقَالَ إِسْنَادُهُ لَا يُثْبِتُ  
مُثْلَهُ ، السَّنَنُ الْكَبِيرُ : ٩٥/٨ .

عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثالث من ديتها"<sup>(١)</sup> وهو نص يقدم على ما سواه.

وهكذا ورد في معظم كتب الفقه على المذاهب المختلفة أن دية الحرة المسلمة على النصف من دية الرجل الحر المسلم ونقل ابن المنذر وأبن عبد البر الإجماع على ذلك ولم ينقل خلاف أحد من الفقهاء المعروفين في ذلك .

وعمل الفقهاء ذلك بان حال المرأة نصف حال الرجل ولأن لها النصف من الميراث وكذلك في الشهادة فيكون أمرها في الدية أيضا مثل ذلك . <sup>(٢)</sup>

وقد روى البيهقي بسنده عن معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دية المرأة على النصف من دية الرجل " وقال : روي بإسناد لا يثبت مثله ولم يذكر العلة وأخرج البيهقي بسنده عن علي قال : " عقل المرأة على النصف من

---

(١) رواه النسائي وفي إسناده ضعف كما في نصب الراية : ٣٦٤/٤ .

(٢) رد المحتار : ٣٦٨/٥ . معنى المحتاج : ٥٧ - ٥٦ . المعني لابن قدامة : ٧٩٧/٧ . الفواكه الدواني : ٢٥٩/٢ .

دية الرجل في النفس وما دونها " <sup>(١)</sup>  
وأخرج الشافعي في "الأم" عن محمد بن الحسن عن  
محمد بن أبىان، عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب  
وعلى أنهمَا قالا : عقل المرأة على النصف من دية الرجل في  
النفس وما دونها . <sup>(٢)</sup>

هذه الآثار تدل على أن دية المرأة نصف دية الرجل .  
ويقول صاحب المغني : قال ابن المنذر وابن عبد البر :  
اجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل .  
وحكى غيرهما عن ابن عليه والأصم أنهمَا قالا : ديتها كدية  
الرجل بقوله عليه السلام : " في النفس المؤمنة مائة من الإبل "  
وهذا قول شاذ يخالف إجماع الصحابة ، وسنة النبي صلى  
الله عليه وسلم فان في كتاب عمرو بن حزم : " دية المرأة على  
النصف من دية الرجل " وهي أخص مما ذكروه وهما في كتاب  
واحد فيكون ما ذكرنا مفسرا لما ذكروه مخصوصا له ، ودية نساء  
كل أهل دين على النصف من دية رجالهم على ما قدمنا في

---

(٢) سنن البيهقي : ٩٥/٨ .

(٣) الأم : ٢٨٢/٧ .

موضعه .<sup>(١)</sup>

أما ما يتعلق بما دون النفس فيقول العلامة المحدث الفقيه الشيخ ظفر أحمد العثماني في كتابه الحافل إعلاء السنن : ثم قول علي رضي الله عنه : "في النفس وما دونه" وكذا إطلاق الحكم في الأحاديث المرفوعة يدل على أن الحكم في الثالث وما فوقها وما دونها واحد وهو التصيف .

وما رواه النسائي عن إسماعيل بن عياش عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثالث من ديتها" فضعيف لأن ابن جريج حجازي ورواية ابن عياش عن الحجازيين ضعيفة كما يقول الزيلعي نقاً عن صاحب "التنقح"

واما روى البيهقي عن ربيعه أنه سأله ابن المسيب : كم في إصبع المرأة؟ قال : عشر. قال كم في اثنين؟ قال : عشرون . قال : كم في ثلاث؟ قال : ثلاثون . قال : كم في أربع؟ قال : عشرون . قال ربيعه : حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها

---

(١) المغني : ٧٩٧/٧

نقص عقلها؟ قال : أعرaci أنت؟ قال ربيعه : عالم متثبت أو جاهل متعلم . قال : يا بن أخي ! انها السنة . <sup>(١)</sup>

ويقول الإمام الشافعي : كنا نقول به ثم وقفت عنه وأنا أسأل الله الخيرة لأننا نجد من يقول : السنة ثم لا نجد نفاذًا بها عن النبي صلى الله عليه وسلم والقياس أولى بنا فيها . <sup>(٢)</sup>  
وفي التلخيص الحبير : قال الشافعي : وكان مالك يذكر أنه السنة وكنت أتابعه عليه وفي نفسي منه شيء ، ثم علمت أنه يريد سنة أهل المدينة فرجعت عنه . <sup>(٣)</sup>

يقول صاحب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع موضحاً ما ذكر من الإجماع على تنصيف دية المرأة من الرجل :  
وإن كان أنثى فدية المرأة على النصف من دية الرجل  
لإجماع الصحابة رضي الله عنهم فإنه روى عن سيدنا عمر وعن سيدنا علي وابن مسعود وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم أنهم قالوا في دية المرأة أنها على النصف من دية الرجل ولم ينقل أنه أنكر عليهم أحد فيكون إجماعاً ولأن المرأة في ميراثها

---

(١) سنن البيهقي : ٩٦/٨ . وراجع إعلاء السنن : ١٩٢/١٨ - ١٩٦ .

(٢) نصب الراية : ٣٦٤/٤ .

(٣) التلخيص الحبير : ٣٤٠/٢ .

وشهادتها على النصف من الرجل فكذلك في ديتها .<sup>(١)</sup>  
ويقول الشيخ العالمة الفقيه مصطفى أحمد الزرقاء ردا على  
سؤال وجه إليه من رئيسة اللجنة الباكستانية لشؤون المرأة :  
أما أن دية المرأة نصف دية الرجل فهذا أيضاً موضع اتفاق  
بين الفقهاء استناداً لآثار كثيرة مروية عن العديد من الصحابة .  
وتعليق ذلك فيما يظن هو أن الديمة إنما هي تعويض عن  
الضرر المالي الذي يصيب أهل القتيل في القتل الخطأ وهذا  
الضرر المالي في موارد حياة أسرة القتيل ومن هو مسئول عنهم  
فعلاً أو احتمالاً ، هو أكبر وأعظم أثراً في حالة كون القتيل رجلاً  
منه في حال كون القتيل امرأة في الأحوال العامة .  
فالرجل هو المسئول مالياً في نظام الفقارات الإسلامي عن  
النفقة على نفسه وعلى زوجته وأولادهما فلا تلزم المرأة  
المتزوجة بالنفقة على نفسها ولا على زوجها وأولادهما ولو  
كانت غنية لكن الرجل (الزوج أو القريب بحسب أحكام  
تفصيلية معروفة) هو الذي تجب عليه النفقة .  
والخلاصة : إن الالتزامات المالية تقع دوماً على الرجل وفق

---

(١) بدائع الصنائع : ٧ / ٣٧٦ .

الشريعة لذلك كان الضرر المالي على أولياء الرجل القتيل أكبر من الضرر المالي في حال كون القتيل امرأة ولعل هذا هو السبب في اختلاف الديمة بين الرجل والمرأة .

وأما في حالة القتل العمد العدوانى الموجب للقصاص فهذا مناطه بصفة الإنسانية في القتيل ولا فرق في هذه الصفة شرعاً بين الرجل والمرأة ولذا يقتل الرجل بالمرأة والمرأة تقتل بالرجل لأن القصاص ليس منها على تعويض الضرر المالي بل على وجوب صيانة البنية الإنسانية من العدوان عليها وهنا يتساوى الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية و وجوب الصيانة في الإنسانية <sup>(١)</sup>

وتؤيداً لهذا الموقف قال بعض الفقهاء :

- إن المرأة في الميراث تأخذ نصف ميراث الرجل فتشكون في الناحية المالية مقدرة في التعويض بنصف دية الرجل .

- وأن الديمة تعويض عن المفقود وتعويض لما نقص في المجتمع بفقدده وذلك يقتضي أن يكون تعويض فقد

---

(١) فتاوى مصطفى الزرقاء : ٣٨٩ - ٣٩٠ .

المرأة أقل من تعويض الرجل لأن منافع المرأة دون منافع الرجل وتقدير هذا التعويض يكون بتقدير الميراث وهو أن تكون على النصف. ولا شك أن هذه نظرة إلى الجانب المالي ولم ينظر فيها إلى قيمة الآدمية وإلى جانب الزجر للجاني .

والحقيقة أن النظر في العقوبة ينبغي أن يكون إلى قوة الإجرام في نفس المجرم ومعنى الاعتداء على النفس الإنساني وهي قدر مشترك عند الجميع لا يختلف باختلاف النوع . فالدية في ذاتها عقوبة للجاني وتعويض لأولياء المجنى عليه أوله نفسه لأنها كان ذلك في الأطراف وعلى ذلك ينبغي أن تكون دية المرأة كدية الرجل على حد سواء إذ هي عقوبة الدماء ولأن المعتدي بقتل إمرأة كالمعتدي بقتل رجل على حد سواء في الصغير وفي الكبير والذكر والأنثى فينبعي أن تكون الدية فيها واحدة وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي رواه عنه عمرو بن حزم: "في النفس مائة من الإبل"

(١)

---

(١) فلسفة العقوبات في الفقه الإسلامي : / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

ومن هنا يرى بعض الفقهاء المعاصرین ومن أبرزهم الشیخ  
محمد أبو زهرة رحمه الله ویتلخص رأیه فيما یلی :  
أن تنصیف دیة المرأة لم یأت فیه نص من قرآن أو سنة  
صحیحة فما ذکره ابن قدامة فی كتاب عمرو بن حزم : "دیة  
المرأة علی النصف من دیة الرجل" لم یصح عن النبي صلی الله  
علیه وسلم وعلی فرض صحته فلم تثبت فیه عبارۃ "دیة المرأة  
علی النصف من دیة الرجل" كما قال ابن حجر فی التلخیص  
الحبير : هذه الجملة لیست فی حديث عمرو بن حزم الطویل ،  
وانما أخرجها البیهقی من حديث معاذ وحديث معاذ الذي رواه  
البیهقی ضعیف ضعفه البیهقی نفسه ويرجع الضعف إلی وجود  
رجل ضعیف فی سنته وهو بکر بن خنیس الكوفی قال فیه ابن  
معین: "لیس بشيء" <sup>(۱)</sup> وقال الدارقطنی : مترونک . <sup>(۲)</sup>  
فلا یصح الاحتجاج بحدیثه .

واما إجماع الصحابة فلم یصح، لأنه لا یستند إلی مستند  
من الكتاب والسنة الصحيحة هذا بالإضافة إلی أن النقل عن  
الصحابۃ رضی الله عنہم فی هذه القضية اعتراہ الضعف

---

(۱) التاریخ لابن معین : ۶۲ / ۲ .

(۲) تهذیب التهذیب : ۱ / ۴۸۲ .

والخلل. فالآثار التي رویت عن الصحابة ذکرها البیهقی وضعفها  
فلا يصح الإجماع في هذه المسألة.

وأما القياس على ميراث المرأة فقياس مع الفارق، لأن  
الميراث مبني على حاجة الوارث إلى المال فحاجة الرجل إليه  
أكثر من حاجة المرأة وأما الديمة فمبنية في الغالب على كونها  
عقوبة أصلية وأنها بدل النفس فهي واحدة في كل من الرجل  
والمرأة .

أما القياس على شهادة المرأة فقياس مع الفارق أيضا لأن  
الشهادة مبنية على الدراية الأكيدة بالوقائع والتصرفات  
المشهود عليها. وأما الديمة فمبنية في الغالب على كونها عقوبة  
أصلية، وأنها بدل النفس فهي واحدة في كل من الرجل والمرأة

بهذا يتبيّن صحة ما ذهب إلى اختيارة الشیخ محمد أبو زهرة  
وهو أن دية المرأة كدية الرجل على سواء، لأنها عقوبة الدماء،  
ولأن المعتدى بقتل امرأة كالمعتدى بقتل رجل على سواء .<sup>(١)</sup>  
ويؤكّد ذلك د. محمد رواس قلعه جي ويقول : إذا قتلت

---

(١) محمد أبو زهرة : ١٦١ - ١٦٣ .

المرأة عمداً فعلى قاتلها القصاص سواء كان القاتل رجلاً أو امرأة وإن قتلت خطأ فعلى قاتلها الديمة ودية المرأة كدية الرجل فيما أرى. لأن الأحاديث الواردة في أن دية المرأة على النصف من دية الرجل كلها فيها مقال. ونقل الإجماع على ذلك فيه تسامح. وغاية ما فيه أنه قال به جماعة من الصحابة ولا يعلم لهم مخالف وإذا كان الأمر كذلك وجبت النظرة إلى الأصل وهي أن الحياة الإنسانية حياة محترمة والناس فيها سواء والاعتداء عليها عمداً يوجب القصاص وإعدامها خطأً يوجب الديمة وطالما إن الحياة واحدة .<sup>(١)</sup>

فالحاصل أن الإجماع دليل شرعي عند جماهير العلماء وإن الإجماع الصريح أقوى من الإجماع السكوتى .

وقد اتفقت الأمة على حصول إجماع الصحابة في عدد من القضايا المهمة اعتمد عليه الفقهاء عبر القرون وفي مسألة دية المرأة لم يحصل خلاف يعتد به طوال القرون الماضية فيبقى مذهب الجمهور هو الأحوط مع ذلك القول بتسوية دية المرأة بدية الرجل لا يعتبر خرقاً للإجماع الصريح ولله مبرر عقلي

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة : ٢٥٥ / ١ .

ومستند شرعي لكن يحتاج الأمر إلى دراسة مستفيضة وإقرار  
جماعي من قبل المجامع الفقهية المعتمدة والله يهدي إلى سبيل  
الرشاد.

\* \* \*

## نحو تصور الدولة المدنية في الواقع السياسي الراهن

يقول العقلاء أنه لا مشاحة في الاصطلاح ويقول الفقهاء في سياق خاص: إن العبرة للمقصاد والمعانى لا للألفاظ والمبانى، فبدل أن يستمر الجدل اللغظى حول شكل الدولة المطلوبة في الإسلام هل هي تكون دينية أم مدنية؟ يجب تحرير مفهوم "الدولة المدنية" لأن "الدولة الدينية" توحى إلى الحكم بالحق الإلهي بمفهوم الكهنوت الكنسى الأوروبي، وهو غير مقصود طبعاً لكن العنوان يشير القطاع الكبير من الناس في الداخل وفي الخارج ضد الدولة الدينية.

كما أن الدولة العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة، وتدع "ما لقيصر لقيصر وما لله لله" ليس هو مقصود "الدولة المدنية" حيث يعتبر أيضا الدين مجرد إرشادات إيمانية ووصايا أخلاقية لا علاقة لها بجوانب الحياة السياسية والاقتصادية بل المراد هي: الدولة المدنية الملزمة بأحكام الشريعة، المنفتحة على العالم في خططها ومساريعها، وتعاملها مع الأقليات غير المسلمة محلياً ومع الدول غير الإسلامية عالمياً.

لذا يجب تحرير محل الخلاف وتحديد المصطلح وبيان مفهوم "الدولة المدنية" وموقع الدين منها وموقعها من الدين.  
فمن المعروف إن الإسلام لم يحدد شكلًا معيناً للدولة فكانت الخلافة الراشدة إلى ما شاء الله سبحانه وله تستمر طويلاً، ولم يكن أسلوباً واحداً في اختيار الخليفة ثم تحولت الخلافة إلى الملوكية أو إلى الخلافة ولكن ليست بنفس المستوى من الرشاد والالتزام.

وهذا أمر طبيعي لدين اختاره الله سبحانه لعباده وقدر له البقاء إلى يوم القيمة حيث أن الأوضاع لا تكون على تيبة واحدة في كافة البلاد والأقطار، فمجرد تسمية ولـي الأمر خليفة للمسلمين ليس مطلوباً فقد يكون الملك الرشاد أفضل من الخليفة الفاسد.

ونظراً إلى أن الأوضاع السياسية الراهنة على صعيد عالمي شديدة التعقيد، بالغة الخطورة، وإن مجرد رفع الشعار "الإسلام هو الحل" ليس كافياً بل إن الأوضاع الراهنة قد وضع المسلمين أمام اختبار حقيقي لإثبات أن الإسلام هو الحل في الواقع الأمر، وذلك من خلال تقديم تصور للدولة الملزمة بأحكام الإسلام القادرة على أن تحقق للمجتمع السعادة وللشعب الأمن والرخاء، وتنجح في التعامل مع التناقضات الداخلية والخارجية والتعاطي مع كافة

## **الشعوب والأمم.**

والذي يجب تحريره حول الدولة المدنية هو ما يلي:

- الدولة المدنية لا يعني الدولة العلمانية الرافضة للدين.
- الدولة المدنية تلتزم بأحكام الإسلام في تحريم ما حرمه الله من الربا والزنا وما شابه ذلك.
- الدولة المدنية تقيم العدل والقسط بين كافة أفراد الشعب.
- الدولة المدنية تقوم بحراسة الدين وسياسة الدنيا على أساس ثابتة وواضحة فلا تنازل عما هو المعلوم من الدين بالضرورة.
- الدولة المدنية تقيم العلاقات مع كافة الدول على أساس التعامل بالمثل.
- الدولة المدنية تضمن للأقليات الموجودة في البلد كامل حقوقها الشرعية.
- الدولة المدنية تقوم بإتاحة فرصة العمل لأهل الكفاءات وتقوم بتطوير المؤسسات، وتنمية الموارد البشرية باستخدام الأساليب الحديثة والتقنيات الرائجة.

- الدولة المدنية تهئ المناخ الآمن و مجال التعايش السلمي، مستنيرة في ذلك "وثيقة المدنية المنورة" التي كتبها الرسول صلي الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المنورة للتعايش مع اليهود والنصارى من أهل المدينة.
- الدولة المدنية تمارس نفوذها لضمان سلامه الأقليات المسلمة التي تعيش في الكثير من الدول غير المسلمة وأعدادها تفوق أعداد المسلمين في الدول العربية.
- الدولة المدنية لا تمانع من رفع مسألة الأقليات المسلمة في المحافل الدولية إذا اقضى الأمر بذلك.  
إن المسلمين عددهم كبير لكنهم يعيشون في حالة الضعف والوهن، وأن الخلافات الداخلية يمكن أن يستغلها الأعداء لضرب الإسلام والمسلمين.  
لذا يجب التعامل بالحكمة والعقلانية.
- إن موضوع "السياسة الشرعية" غير منقحة، والكتب التي ألفت بعنوان "الأحكام السلطانية" أو "السياسة الشرعية" هي قليلة ومرتبطة بظروف معينة وبيئات خاصة لذا يجب اتخاذ

السياسة التي إذا اتبعت صار الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد حسب تعبير ابن عقيل الحنبلي.

والخطوة الأولى هو إعداد الدراسة الشاملة والدقيقة في موضوع "الدولة المدنية" ومناقشة الموضوع في ضوء المستجدات السياسية ووضع المنهجية لتحديد مفهوم الدولة الحديثة واعتماد الاجتهاد الجماعي.

هذه الجوانب كلها تحتاج إلى تأصيل شرعي من خلال دراسة متکاملة حول (الدولة المدنية) المقترحة. والله ولي التوفيق،،

## ملاحظات على كتاب المقدمة في فقه العصر

كتاب جديد لمؤلف يمني معاصر لم أعرفه من قبل ولم  
أطلع على كتاب أو بحث منشور له سابقا، ويُكاد اسمه نكرة  
بين الباحثين المعاصرين في القضايا الفقهية المعاصرة وهو  
الدكتور فضل عبد الله مراد، ولا يضره أن لا يكون معروفا إذا  
كان فنه سليما، وعلمه دقيقا، وأسلوبه قويا رصينا.

لقد استبشرت خيرا حينما رأيت الكتاب أولا وقرأت ما قيل  
عن المؤلف من كلمات الإشادة والتقرير من قبل بعض  
المشاهير ثم استوحشت قليلا حينما رأيت أن صاحبنا مؤلف  
الكتاب ليس من طراز عادي بل إن له دعاوي عريضة وأنه بدأ  
عمله معتمدا بنفسه، مزهواً بعلمه، مؤمنا ببلوغه رتبة "المجتهد  
المطلق" في صف الأئمة الأربع: أبي حنيفة ومالك والشافعي  
وابن حنبل بل وربما بوصوله فوق درجتهم، معلنًا أنه لا يقلّد  
أحدا، مطبقا ما فهم من وصيتهم حيث يقول بوضوح:

"وقد التزمت في كتابي هذا الزام الأئمة الأربع ونصيحتهم  
وتوصيتهم لي ولنا جميعا وهي أن لا نقلدهم بل نأخذ من حيث  
أخذوا"

من غير أن ينتبه أن نصيحتهم - بشرط ثبوتها نصاً وصحة  
نسبة قولها إليهم - إنما كانت موجهة لأمثال أبي يوسف  
ومحمد، وابن القاسم، والمزنني، وإسحاق بن راهويه ومن كانوا  
على درجتهم من العلم والاتقان، ثم إنهم لم يأخذوا من  
المصحف المطبوع طباعة فاخرة، ونسخة مصححة مزخرفة من  
سنن أبي داود، بل جلس أبو حنيفة نحو عشرين عاما في حلقة  
حمداد بن أبي سليمان وهو أخذ عن إبراهيم السخعي، وأخذ من  
علم جعفر الصادق، وعطاء وأضرابهم من التابعين، وتشبع مالك  
من علم ربيعة الرأي وفقهاء المدينة ولم يجلس للإفتاء حتى  
شهد له نحو سبعين إماما من علماء المدينة بالفضل والإمامية  
وأهلية الإفتاء، وهكذا شأن محمد بن إدريس الشافعي أخذ فقه  
مالك ثم سافر إلى العراق واستفاد من محمد بن الحسن  
الشيباني، وبرز ابن حنبل في جمع السنن والفقاهة في الدين  
والنباهة بين المسلمين مع ذلك لم يدع أنه لا يقلد أحدا سبقه

من الأئمة ويتجب ما فهموه واستبطوه من الأحكام " وإنما يأخذ من حيث أخذوا" بل اختيار ورجح كل منهم من أقوال ومذاهب من سبقة من السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وغيرهم لأن أصل هذا الدين منقول ومتواتر عن السلف الأقدمين مع كون باب الاستنباط مفتوحا على ذوي الكفاءة من اللاحقين.

إن ما نراه لدى المؤلف من نزعة استعلائية شبيهة بالحالة النفسية التي يصاب بها بعض من يتميز في حفظ السنن والمسانيد دون التمكن من أدوات الاجتهاد ومعرفة مدارك الفقهاء وصدق من قال: رب حامل فقه غير فقيه، ورب مبلغ أوعى من سامع، فليس كل من يحفظ آيات الذكر الحكيم وكافة الأحاديث المنقوله في كتب السنن والمصنفات والمسانيد قادرا على فهمها واستنباط الأحكام منها على غرار الأئمة الأعلام من المجتهدين.

ولا يعني ذلك أن أحداً لن يصل إلى درجة الاجتهاد المطلق بل نرى إمكان ذلك، ولا ننكر وقوعه إذا توفرت شروطه في سابق أو لاحق كما يقول شارح مسلم الشبوت من علماء

الأحناف لكن الاجتهاد يتطلب مؤهلات خاصة، وأن باب الاجتهاد مفتوح لأهله ومغلق بإحكام أمام من لا يملك القدرة على ولوجه.

وكان الأحرى بالمؤلف أن يحذو على أقل تقدير حذو الشيخ القرضاوي الذي يصفه "بالمأمام" أو الزنداني الذي يصفه "بالمجدد" أو الشيخ "العمري" الذي يصفه "بالمجتهد المطلق" حيث أنهم ملأوا الدنيا علما وإناتجا، وليس لأحد منهم دعاوى بأنهم لا يبالون بالأئمة السابقين ويجهدون بأنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، وأمامهم "المصحف المتنزّل" و"كتب السنن والمسانيد" وإن كان بعض منهم آراء شاذة في بعض الفروع الفقهية وشطحات في تأصيل بعض المفاهيم، وكما أن لهم تراجعات من بعض الأفكار الخاطئة، ويعتبر ذلك من حسناتهم، جزاهم الله خيراً عما أصابوا ويفتر لهم ما أخطأوا فيه.

إن من محاسن المؤلف زيادته في مقاصد الشريعة الخمسة مقصداً سادساً وهو مقصد "المحافظة على الجماعة".  
لكن هل يمكن أن تكون "الجماعة" وكل فرد منها يتفرد برأيه ويتضارب في اجتهاداتـه، وينقض مابناه الأولون؟ وما

## استبطوه من نصوص الكتاب والسنّة؟

و ثم ما فائدة تأليف مثل هذا الكتاب المبتكر إذا كان مثلي  
من طلبة العلم عليه أن لا يقلد الشيخ فضل مراد فيما ذهب إليه  
باجتهاده ودها إليه استنباطه، بل يأخذ من حيث أخذ فقد يؤدي  
اجتهادي إلى ما ذهب إليه، وقد يؤدي إلى غير ما ذهب  
إليه، وتعيش الأمة في دوامة الاختلاف والتناقض والبعد  
والنناحر؟!

إذا كانت القضايا الفقهية الدقيقة لا تحتاج إلى من نستأنس  
بفهمه واستنباطه فالقضايا السياسية والاجتماعية العامة أولى بأن  
لا يتبع فيها أحد أحداً، ويأخذ كل واحد وجهته، ومن عجائب  
التناقض عند المؤلف أنه لا يرى تعليل الأحكام وينتهج منهج  
الظاهرية في الالتزام الحرفي للنص في معظم اجتهاداته، ثم يربط  
كثيراً من أحكام الحلال والحرام بمقاصد الشريعة والمصالح  
العامة، مع أن الأصوليين أجمعوا على أن "الحكم يدور مع عنته  
لامع حكمته"، وأن الحكم والمقاصد من الأمور المستبطة غير  
المنضبطة فما أعتبره مصلحة قد يراه غيري مفسدة ومضره.  
ويسرف المؤلف في استخدام "الأصل في الأشياء الإباحة"

مع أنه ليس أصلاً متفقاً عليه بين الفقهاء والأصوليين ولا هي من القواعد الفقهية الثابتة التي تجعل أساساً في بيان الحال والحرام، فقد قيل: الأصل في الأبضاع التحرير، وقيل غير ذلك.

يقتصر استدلال المؤلف عموماً على الآيات القرآنية، والثابت لديه من الأحاديث وهو يعرف جيداً أن النصوص حمالة أوجه، وقد اختلف فهم الصحابة والتابعين ووقع الخلاف في فهم النصوص والنبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولم يرجح فهم أحد على غيره، كما هو واضح في قصة صلاة العصر فيبني قريظة، واعتبر ذلك سعة في الدين وتيسيراً على المسلمين، ولا خير فيمن ليس له إمام من السالفيين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأً كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام الذهبي في ترجمة عبد العزيز بن عبد الله

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٩١/٢١.

الداركي شيخ الشافعية بالعراق بعد ما يصفه بالإمام الكبير نقا  
عن ابن خلkan:

وربما أفسى على خلاف مذهب الإمامين الشافعي وأبي حنيفة فيقال له في ذلك فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعية وأبي حنيفة.

يقول الإمام الذهبي:

قلت: هذا جيد لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمام من نظرياء هذين الإمامين مثل مالك أو سفيان أو الأوزاعي وبأن يكون الحديث ثابتا سالما من علة وبأن لا يكون حجة أبي حنيفة والشافعية حديثا صحيحا معارضا للآخر.  
أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكره سائر أئمة الاجتهاد، فلا، كخبر "فان شرب في الرابعة فاقتلوه" وكحديث "لعن الله السارق يسرق البيضة"<sup>(١)</sup>.

ويقول الإمام النووي: ومن غرائب الداركي أنه قال: لا يجوز السلم في الدقيق، حكاه الرافعية والمشهور الجواز (الهامش).

---

(٢) سير أعلام النبلاء . ٤٠٥/١٦

إن كتابه "المقدمة في فقه العصر" كتاب لطيف ظريف من ناحية، وفيه كثير من الابتكار في اختيار العناوين وربط الفقه بواقع الحياة المعاصرة كما أن ما كتبه عن السياسة الشرعية يشكل بمجمله مادة جيدة لحل كثير من مشاكل العصر وتوجيه الشباب إلى الوسطية والاعتدال وعدم الجنوح إلى الشورات غير المنضبطة، ودفع الأمة إلى مزيد من الشتات، والبلاد الإسلامية إلى مزيد من الخراب والدمار والوقوع في فخ القوى الاستعمارية التي خططت "للفوضى الخلاقة" في المنطقة وحققت ما كانت تريده منها من غير أن يحصل المسلمون على حالة الأمن والاستقرار، رغم كل التضحيات.

يشن المؤلف هجوما شديدا على الفقهاء السابقين واللاحقين متهمًا إياهم "أنهم انتهجوا منهجا" خلاف أصل التشريع القائم على التيسير ورفع الحرج والمشقات، والقائم على أصل العفو والإباحة في هذه الأبواب (أبواب البيوع والأموال) ويرى أن اجتهادهم أو تعدد أقوالهم في القضايا المالية مصداقا لقول الله تعالى: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء: ٨٢) مثل هذا الكلام لا

يصدر من رجل مطلع على أسباب اختلاف الفقهاء، وتفاوت  
مداركهم ومناهج استنباطهم، ورحم الله الإمام ابن تيمية الذي  
هداه علمه ودقة فهمه إلى تأليف كتاب "رفع الملام عن الأئمة  
الأعلام".

هذا حال الفقهاء الأعلام السابقين من الأئمة الأربع  
وأتباعهم، أما اللاحقون فجريمتهم ليست خفيفة بل هم حسب  
تعبير المؤلف:

تلقى "هذا الخلاف والاختلاف والتعسیر" كثیر من بحاثة  
وفقهاء العصر وجعلوه أصلا لفقه العصر المالي".

"وقد أضر الفهم غير الصحيح للنصوص" منها نقده على  
قوله: فهذه نبذة مختصرة عما ضر من الأنوار والتأنيات بفقه  
المعاملات والاقتصاد الإسلامي الذي يعد النموذج الراسد  
للعالم. (٧٧٤-٧٧٨/٢)

فما هي الجريمة التي ارتكبها السابقون من الأئمة  
واللاحقون من الباحثين المعاصرین يا ترى؟ حتى أفسدوا "فقه  
المال" ما يجعل "اجتهادهم" مستحقا أن يباد ويحل محله  
"اجتهاد الشيخ فضل مراد" الذي يستحق فعلاً أن يسمى

"مجتهدا" ولكن ليس "مجتهدا مطلقا" بل "مجتهدا عشوائيا"  
يعم اجتهاده كافة مجالات الحياة ابتداء من "فقه الوظائف"  
ومروراً بـ"فقه الفن والإعلام، والمرور، والسياحة، والتكنولوجيا"  
ويصل إلى الكوافير والمأيوه ورقص الفضائيات فللله دره ما  
أوسع أفقه، وما أغزر علمه، وما أدق نظره؟!

هذا "المجتهد العشوائي المطلق" يرى أيضاً أن من ذنوب  
الفقهاء الأقدمين التي يجب التنبية عليه:

أولاً: التوسيع في علة الربا فوق المنصوص أو ما هو قريب  
منه والذي يقطع به ويتفق عليه الجميع أن الشعّ لم ينص في  
قرآن ولا في سنة على علة الربا وإنما حرمه بنصوص قطعية.  
فالمحرم قطعاً في رأيه ووفق اجتهاده ليس إلا:

١ - ربا الديون  
٢ - و ربا الفضل والنسيئة في أصناف ستة منصوص عليها  
في أحاديث بلغت حد التواتر وهي: "الذهب، والفضة، والبر،  
والشعير، والتمر، والملح".

فإذا كان هذا هو اجتهاده فما هو الاكتشاف الجديد في  
استنباطه هذا؟ وماذا فيه من براعة الاختراع والإبداع؟ فقد سبقه

من قال ذلك منذ قرون وقرون في عصر التابعين وأتباع التابعين.  
فقد قال طاؤوس وقتادة أن الحرمة مقصورة على الأشياء  
الستة المذكورة ولا تتعدي إلى غيرها وبه قال داود الظاهري  
ونفاة القياس كما يقول الإمام ابن قدامة في المغني ٤/٢ وهو  
قول الشعبي ومسروق وعثمان البتي كما في عمدة القاري  
. ٤٩٠/٥

فيجوز عندهم بيع الذرة بالذرة متفاضلا لأن الحديث لم  
يدرك الحرمة إلا في الأشياء الستة المذكورة فيقام عدتها على  
أصل الإباحة لقوله تعالى {أحل الله البيع} (تكميلة فتح الملهم  
(٥٧٨/١)

فإذا كان اجتهاد الشيخ فضل مراد بعد مواصلة الليل  
بالنهار أو صله إلى هذه النتيجة فكان الأحرى به أن ينسب  
الأقوال إلى قائلها ويقول هذا هو المختار عندي من أقوال  
السابقين، فكان في ذلك راحة له واستراحة للأمة من الواقع في  
البلبلة الفكرية، دون أن تقع عليه وحده المسئولية عن إباحة  
الربا في أشياء كثيرة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذهب إليه  
جمهور الأمة وكافة الأئمة، ولا عبرة لشذوذ من شذ.

هكذا يختار قوله شاداً رفضه جمahir الفقهاء في عدم  
تعليق حديث ربا الفضل فلا جديد فيما ذهب إليه فقد سبقه  
غيره في هذا الفهم الغريب النادر؟!

- وأيضاً من ذنوب الفقهاء عند المؤلف وأخطائهم التي  
اضررت بفقه المعاملات "الفهم غير الصحيح للنصوص" كنص  
"لا تبع ما ليس عندك" على فرض صحته  
ولننظر الآن ما هو "الفهم غير الصحيح  
للنصوص"؟ ومن الذي ارتكبهم الفقهاء والمحدثين قبل خروج هذا  
"المجتهد المطلق" وظهوره أمام الناس بهذا الفقه الجديد؟ ففي  
صحيح الإمام مسلم رحمه الله: باب بطلان بيع المبيع قبل  
القبض:

حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا حماد بن زيد وحدثنا حماد عن  
عمرو بن دينار عن طاؤوس عن ابن عباس أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال: من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه قال  
ابن عباس: وأحسب كل شيء مثله رقم الحديث ٣٧٢٠ ومن  
ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يقبضه قال ابن عباس: وأحسب كل  
شيء بمنزلة الطعام وكذلك تحت رقم ٣٧٢٢

وفي رواية تحت رقم ٣٧٢٣ عن طاؤوس عن ابن عباس  
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتاع طعاما فلا  
يبيعه حتى يكتا له فقلت لابن عباس: لم؟ فقال: "ألا تراهم  
يتبايعون بالذهب والطعام مرجأ" ولم يقل أبو كريب: مرجأ.  
وجمع الإمام المسلم الروايات بكل أسانيده إلى أن روي  
تحت رقم ٣٧٣٢.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن الحارث  
المخزومي حدثنا الضحاك بن عثمان عن بكير بن عبد الله بن  
الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال لمروان:  
أحللت بيع الربا، فقال مروان: ما فعلت؟ فقال أبو هريرة أحللت  
بيع الصكاك وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام  
حتى يستوفى، قال: فخطب مروان الناس فنهى عن بيعها، قال  
سليمان فنظرت إلى حرس يأخذونها من أيدي الناس.

فانظر هذا الشخص الذي ينصب نفسه "مجتهدا مطلقا"  
كيف يطلق النقد اللاذع على كل من لا يوافقه في اجتهاده من  
السابقين واللاحقين ويحكم على ابن عباس رضي الله عنهما  
حبر الأمة، وأبي هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام، أنهما لم

يفهمما النص فهما صحيح؟!

ويدعى أنه لا يصح الاستدلال به على بيع ما لا تملكه ولم  
تقبضه لأن لغة العرب تأباه وهذه الشريعة عربية؟!  
فهل يرى هذا المجتهد أن ابن عباس ترجمان القرآن لم  
يكن يفهم اللغة العربية؟!

ثم يتفلسف ويقول: "ولا يصح كذلك من باب المقصاد  
الشرعية التي أمرت بحفظ المال" وهل "المقصاد الشرعية"  
المزعومة أو الموهومة تصلح أن تكون حكما على النصوص  
الواضحة القطعية؟

وكذلك في "صحيح الإمام البخاري": باب بيع الطعام قبل  
أن يقبض وبيع ما ليس عندك".

يقول الإمام ابن حجر في شرحه:  
لم يذكر في حديث الباب بيع ما ليس عندك، وكأنه لم  
يثبت على شرطه فاستتبطه من النهي عن البيع قبل القبض....  
ثم يقول ابن حجر: وعلى هذا التفسير لا يختص النهي  
بالطعام ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما:  
"لا أحسب كل شيء إلا مثله"

وبؤيده حديث زيد بن ثابت: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تباع السلع حيث تباع حتى يحوزها التجار إلى رجالهم". أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان

قال القرطبي: هذه الأحاديث حجة على عثمان التي حيث أجاز بيع كل شيء قبل قبضه، وقد أخذ بظاهرها مالك فحمل الطعام على عمومه، والحق بالشراء جميع المعاوضات وألحق الشافعي وابن حبيب وسخنون بالطعام كل ما فيه حق توفية.

وزاد أبو حنيفة والشافعي فعديه إلى كل مشتري، إلا أن أبو حنيفة استثنى العقار وما لا ينقل، واحتج الشافعي بحديث عبد الله بن عمر وقال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربح ما لم يضمن".

وفي معناه حديث حكيم بن حزام المذكور في صدر الترجمة<sup>(١)</sup>.

ومع كل ذلك يقول: ومما لا دليل عليه اشتراط القبض في غير الطعام فإن القبض في الطعام مذكور في الصحيحين، أما غيره فلا يصح فيه دليل.

---

(١) فتح الباري ٤/٤٢٢.

كذلك لا جديد في ما كتبه عن موضوع الغرر والجهالة غير التفخيم والتهويل والادعاء أن الفقهاء السابقون لم يفهموا فهما صحيحاً واللاحقون بنوا على اجتهادهم فأضروا بالفقه المالي.  
يقول: "ومما أضر بفقه المعاملات والأموال التوسع في تحرير المعاملة بالغرر والجهالة".

كذلك من دأب المؤلف أنه بعد تفخيم خطأ الفقهاء يذكر قوله كأنه هو الذي اكتشفه واستبطه من النصوص أولاً ثم يذكر اسم ابن تيمية أو ابن حزم مثلاً بأنه وجد قولهما موافقاً لما ذهب إليه واستبطه، والموقف الصحيح أن يذكر اجتهاد السابقين وأقوالهم أولاً ثم يذكر أسباب اختيار ما اختاره من أقوالهم.

إن الغرر اليسير معفو عنه عند جميع الفقهاء، كذلك الجهالة اليسيرة التي لا تؤدي إلى المنازعة، لا تأثير لها في صحة العقد.

يقول الإمام النووي رحمه الله:  
أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير منها أنها  
أجمعوا على جواز بيع الحبة المحسنة ولم يرحوها ولو بيع

حشوها بانفراده لم يجز، وأجمعوا على جواز إجارة الدار  
والدابة والثوب ونحو ذلك شهراً، والشهر قد يكون ثلاثة في يوماً  
وقد يكون تسعه وعشرين.

وأجمعوا على جواز الشرب من السقاء بالعوض مع جهالة  
قدر المشروب، واختلاف عادة الشاربين.

ويقول العلامة الفقيه المعاصر الشيخ محمد تقى العثمانى:  
ويخرج على هذا كثیر من المسائل في عصرنا، فقد جرت  
العادة في بعض الفنادق الكبيرة أنهم يضعون أنواعاً من الأطعمة  
في قدور كبيرة ويختارون المشتري في أكل ما شاء ويأخذون ثمناً  
واحداً معيناً من كل أحد، فالقياس أن لا يجوز لجهالة الأطعمة  
المبيعة وقدرها ولكن يجوز لأن الجهالة يسيرة غير مفضية إلى  
النزاع، وقد جرى به العرف والتعامل.

وكذلك استئجار السيارات ربما لا يعرف سائقها مسافة  
السفر ولا تعين الأجرة في بداية السفر ولكن هذه الجهالة  
تتحمل لكون العداد رافعاً للنزاع ويتفق السائق والراكب على  
أجرة يدل عليها العداد فلا يقع فيه النزاع، وذكر الحافظ نقلًا  
عن الطبرى أن ابن سيرين كان يرى بيع الغرر جائزًا إن سلم في

المآل<sup>(١)</sup>.

يقول إمام العصر محدث الهند الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري:

ولذا أقول فيما أظن – والله تعالى أعلم – إن من البيوع الفاسدة ما لو أتى بها أحد جازت ديانة وذلك لأن الفساد قد يكون لحق الشرع بأن اشتمل العقد على مأثم فلا يجوز بحال، وقد يكون الفساد لمخافة الشائع ولا يكون فيه شيء آخر يوجب الإثم فذلك إن لم يقع فيه الشائع جاز العقد ديانة، وإن بقي فاسداً قضاء لارتفاع علة الفساد وهي المخافة ويدل عليه مسائلهم في المضاربة والشركة فانها ربما تكون فاسدة مع أن الربح يكون طيبا.

ونبه الحافظ ابن تيمية في رسالته على أن من البيوع ما لا يقع فيه النزاع فتكون تلك جائزة<sup>(٢)</sup>.

رغم كل ذلك يتهم الفقهاء القدامي والمعاصريين بأنهم أضروا بفقه المعاملات بتوسيعهم في تحريم المعاملة بالغرر والجهالة، فهل هذا إلا جهل بموقف الفقهاء أو ظلم عليهم

---

(١) تكملة فتح الملهم ٣٢٠/١ وراجع فتح الباري ٤/٢٩٩.

(٢) فيض الباري ٣/٤٨٤.

## بالاتهام الباطل؟

لم يبين المؤلف منهجه في الاجتهاد ولا الأصول التي يعتمدها في الاجتهاد والاستنباط، ويحاول أن يجاري الأئمة الأربعه بدعوي أنه يأخذ من حيث أخذوا.

والذى تبين من الاستقراء في كتابه أنه يجعل القرآن الكريم أساسا للاجتهاد وبعموم ألفاظه دون الإشارة إلى شأن نزول الآيات أو ما ذهب إليه المفسرون السابقون أو المؤلفون في أحكام القرآن.

كما أنه يستند كثيرا إلى مقاصد الشريعة ويدرك المصالح ويبني عليها الأحكام دون الإشارة إلى عدم انصباط المصلحة أو الحكمة، وقد زاد مقصدا سادسا على المقاصد الخمسة التي اعتمدتها إمام الحرمين الجوبني في البرهان والتي بسطها الإمام الغزالى في المستصفى.

والمقصد السادس هو "حفظ الجماعة العامة" إلى جانب حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض كما لم يبين طريقة تعامله مع القياس، وإن كان يستخدمه وكذلك الإجماع. لقد توسع المؤلف في بيان فقه الدولة أو فقه السياسة

الشرعية وهو أصل الكتاب، وكذلك فقه المال والاقتصاد فقد  
تناول فيه الجوانب الكثيرة.

وبسبب اجتهاده "العشوائي المطلق" يقع أحيانا في أخطاء  
كبيرة ويميل إلى أقوال شاذة.

فيiri المؤلف إباحة التأمين بكافة صوره وأشكاله وينتقد  
الفقهاء الذين يرون تحريم التأمين التجاري بعلة الربا والقمار.

يقول متقدما ما يكاد يكون إجماعا من فقهاء القضايا  
المعاصرة:

ما هو ضعيف الاستدلال في المنع ومنها تحريم التأمين  
لأجل التحير في تحريره على مسألة ذكرها الأئمة الأربع  
ونحوهم.

والحق أنها على الإباحة لعدم وجود مانع من المowanع  
الخمسة الشرعية على وجه التحقيق أو الغلبة المعتبرة شرعا في  
الفتوى لا مجرد الوجود بدون هذين الوصفين<sup>(١)</sup>.

كذلك يدعى أنه مما لا دليل عليه اشتراط تقديم رأس مال  
السلم ويقول:

---

(١) المقدمة في فقه العصر ٢/٧٧٦.

ولم أجد دليلا من كتاب أو سنة عليه بل كان مالك يفتني  
بجواز تأخيره لثلاثة أيام ومع هذا فقد جعل البعض هذا الشرط  
أصلا في كثير من المعاملات والعقود المعاصرة، والحق أنه لا  
أصل له من كتاب ولا سنة فبني على أصل الحل والإباحة  
المتيقنة حتى ترحز بيقين<sup>(١)</sup>.

كذلك بسبب عدم التزامه بمنهجية الاجتهاد وقع في أخطاء  
ومخالفة الجمهور من الفقهاء في كثير من المسائل يقول بكل  
صراحة:

"ذبائح كل إنسان من كل دين مباحة ما لم يتيقن أنه ذبحها  
للنصب، أو أهل لغير الله به، وإنما قلنا بذلك لأن المحرم من  
المطعم حصر ذلك {قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على  
طاعم يطعنه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوها أو لحم خنزير  
فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به} (الأنعام: ١٤٥)  
{وما ذُبَحَ عَلَى الصُّبْ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَذْلَامِ ذَلِكُمْ  
فَسَقٌ} (المائدة: ٣)

فالتبادل التجاري بين الأمم في مطعم ومستهلك مفتوح

---

(١) المقدمة في فقه العصر . ٧٧٦/٢.

على مصراعيه إلا ما استثنى في النص وعلم أنه كذلك.

(٨٨٠/٢)

وهذا أمر لا يحتاج إلى تعليق وصدق من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى  
فأول ما يجني عليه اجتهاده

ومن الإنصاف أن يقال أن الكتاب يحتوي على مادة صالحة ومفيدة، في عرض سهل ومبكر لبعض القضايا الفقهية والفكرية كما يحتوي على قدر كبير من آراء شاذة واجتهادات غير ناضجة وانتقادات غير منهجية بل واساءات واضحة وصريحة إلى الفقهاء السابقين واللاحقين وكان الأخرى تجنبها وعرض "الاستبطاطات الخاصة" و"الاكتشافات الجديدة" أمام العلماء غير مصحوبة بادعاءات تحط من مكانتها.

إن جهد المؤلف لنا تقدير وإعجاب العلماء لو كان تواضع قليلاً في تقديم اجتهاده وجرّده من نزعة فوقية ادعائية استعلائية من شأنها أن تنعكس سلباً على المؤلف والكتاب.  
والله الهادي إلى سبيل الرشاد،،

\* \* \*

-71-

## تاریخ امّة فی سیر ائمّة

(شخصیة وکتاب)

الشخصیة هي شخصیة العالم الجلیل والفقیه النبیل معالی الشیخ الدکتور صالح بن عبد الله بن حمید وهو أشهر من نار في علم، هو إمام وخطیب الحرم المکی والمستشار المؤتمن في الديوان الملكی، وقد تولی سابقا مناصب عالیة عدیدة، فكان رئيس مجلس الشوری في المملكة العربية السعودية وظل فترة طویلة رئيس المجلس الأعلى للقضاء كما كان رئيس شؤون الحرمين الشریفين، وله مكانة في الوسط الجامعی بين الأساتذة وطلاب الدراسات العليا لعطائه المتجدد والمتواصل من خلال دروسه ومحاضراته إلى جانب كونه إماما وخطیبا في أطہر المکان وأفضل بقاع الأرض فتعرفه ساحات الحرم وقاعات الجامعات کفقيه نابغ وخطیب مفوّه ويصدق عليه حقيقة لا مجازا:

البيت يعرفه والحل والحرم

نشأ الدکتور صالح بن حمید في أسرة ذات صيانة وديانة

ورضع ببيان العلم منذ نعومة أظفاره، حيث إنه تربى في أحضان والده العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله الذي يشهد له القاصي والداني بأنه كان علما من أعلام العصر متميزا بين نظرائه في غزارة العلم والتقوى، فائقا على أقرانه في الفقه والفتوى.

فالمؤلف سليل الكرام فقيه بن فقيه أكمل حفظه للقرآن الكريم بين الركنين وقضى أيام صباحه بين الكعبة والحطيم إلى أن أكمل دراساته العليا.

رسالته في الماجستير كانت بعنوان: "القيود الواردة على الملكية في الشريعة الإسلامية" وبحثه في مرحلة الدكتوراه كان بعنوان: "رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته"، وله عشرات من المؤلفات ومئات من الخطب كلها تنم عن غزارة علمه وحصافة رأيه ودقة فهمه ورصانة أسلوبه، وكم من خطبة ألقاها في الحرث في ظروف غير عادية فأنارت العقول، وأحيت القلوب، وبعثت الناس على الخشوع واستجلبت الدموع، فللله دره ما أعظم أجره، وإن التوفيق دليل القبول إنشاء الله.

يتمتع الشيخ إلى جانب علمه بكرم الأخلاق وجمال الشيم  
من السماحة والتواضع وإنكار الذات حفظه الله ونفع به البلاد  
والعباد.

أما الكتاب فهو "تاريخ أمة في سير أئمّة" موسوعة تقاد  
 تكون منفردة تحتوي على تراجم من تولى منصب الإمامة في  
الحرمين الشريفين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى  
عصرنا هذا.

لقد جعل الله الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وأمنا، وظلت  
- ولا تزال - أفيادة من الناس تهوي إليهم، فالمسجد الحرام  
هو قلب الأمة وقطب راحها، والمسجد النبوى الشريف أرسنه  
المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المنورة  
ليكون مركز إشعاع لنشر رسالته وبيث وحيه ورسالته فكان  
المسجد هو دار إفتاء، وقضاء، وعاصمة دولته، ومحضن تربته  
وتعليمه لأصحابه الغر الميامين الذين قاموا بتبلیغ ما تلقوا منه  
إلى ربوع العالم وإرشاد الناس إلى سبيل الرشاد.

الكتاب في خمس مجلدات ضخمة زودني به مشكورا  
معالي الشيخ د. صالح بن حميد في موسم الحج ونحن في

كنف رابطة العالم الإسلامي نؤدي مناسك الحج، فيا له من  
مكان ويا له من كتاب.

الكتاب بأجزاءه الخمسة تاريخ أمة وما مرت به من ظروف  
وأوضاع في أهم بقاع العالم وأعز مقدساتها، وما شهدت الكعبة  
المشرفة من إصلاح وترميم، والمسجد الحرام والمسجد النبوي  
من توسيعة وتطوير، منذ رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام  
قواعد البيت إلى بناء برج الساعة العملاقة عند الحرم في هذا  
العصر السعودي الراهن.

كما إن الكتاب مرآة عاكسة لما كانت عليه وظائف  
الحرمين الشريفين من الإمامة والخطابة والتدرис وكيفية الصلاة  
أثناء وجود المقامات على اختلاف المذاهب الأربعة، وبعد  
إزالتها وكيفية صلاة التراويح والتهجد في الحرمين قدימה  
وحديثا.

مع التنوية بعض العائلات التي توارثت الإمامة وذكر ما كان  
عليه بعض الأنئمة من صفات علمية أو خلقية وفق ما رصده  
المصادر القديمة.

وكيف كانت إمارة الحج والإمامية مرتبطة بل متشابكة في

بعض العصور ثم انفصلت المناصب مع مرور الأيام، وانفصلت الإمامة عن الإمارة.

ويشمل الكتاب على فوائد علمية ونكات تاريخية وأدبية، وقدراً صالحاً من أبيات الشعر المختارة جاءت عرضاً خاللاً الترجم.

ولما كانت عبارة الترجم منقولة من المصادر القديمة فقام المؤلف بالتعليق على كل كلمة شاذة أو فكر نشاز خاصة الكلمات التي هي ذات صلة بالعقيدة.

وفي نهاية الكتاب نتائج وخلاصات وفهارس شاملة لمحتوى الكتاب وقائمة أسماء الأئمة الذين توجد لهم ترجم، والذين لا توجد لهم ترجم وقد جعل المؤلف الباب مفتوحاً لكل من يجد ترجمة أحد منهم أن يزوده بها.

وأثناء تتبعي العاجل شعرت بضرورة زيادة ترجمة إمام الحرمين عبد الملك الجوني بين أئمة القرن الخامس الهجري حيث أن المصادر تؤكد أنه قام بالإمامية في الحرمين خلال السنوات التي قضاها في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كذلك ينبغي زيادة اسم هياج بن عبيد بين أئمة الحرم في

القرن الرابع حيث يذكر الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" بأنه كانا من أئمة الحرم، ورد ذلك في ترجمة معاصره الزنجاني، وله ترجمة مستقلة.

والموضوع يحتاج إلى توافر جهود الجميع في استكمال ما أنار طريقه فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد حفظه الله ورعاه.

وهناك الكثير من العلماء الذين هاجروا إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة وكانت لهم حلقات دروس في أحد الحرمين أو كليهما.

فمن بلاد السند والهند وحدها أعلام ونوابغ الذين هاجروا إلى الحرمين الشريفين أو ظلوا هناك سنوات وقاموا بتدريس الحديث النبوي الشريف وغيره من علوم الكتاب والسنة، الشيخ محمد عابد السندي صاحب "منحة الباري" والشيخ علي المتقي مؤلف "كنز العمال"، والشيخ محمد طاهر الفتني مؤلف "مجمع بحار الأنوار"، والشيخ عبد الغني الدھلوی مسند الحديث النبوي في المدينة المنورة، والشيخ محمد إسحاق الدھلوی الذي كانت له مرجعية في علم الحديث في مكة

المكرمة، والشيخ رحمة الله الكيراني الذي أسس المدرسة الصولية في مكة المكرمة، والشيخ أحمد علي السهارنفوري صاحب نسخة متميزة لصحيح الإمام البخاري أعدها في مكة وطبعها في الهند كأول طبعة على الإطلاق على مستوى العالم، والشيخ حسين أحمد المدنى الذي تخرج عليه أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ بشير الإبراهيمى من علماء الجزائر وعشرات غيرهم، وكذلك العلماء الذين جاءوا من بلاد أخرى وجاؤوا الحرميين ونشروا العلم ينبغي أن يخصص لهم باب في الكتاب.

كما يناسب التفكير في اختيار عنوان آخر يناسب لأمراء الحج يميزهم عن الأئمة الشاتبين لأن للفظ "إمام الحرم" إيحاءاً خاصاً.

ولا شك أن الكتاب يفتح آفاقاً عديدة وجديدة للباحثين حيث بلغ إجمالي عدد الأئمة ١٣١٢ إماماً ٧٤٥ من المسجد الحرام ترجم له ٦٣١١ منهم ولم توجد ترجمات ١١٤ إماماً و ٥٦٧ من أئمة المسجد النبوى ترجم له ٣٤٥ ولم توجد ترجمة ٢٢٢ منهم فالكتاب على ما فيه من دقة وإحاطة يتطلب مزيداً من

الجهد حتى يتم استكماله بالبحث عن تراجم من لم توجد لهم تراجم، إضافة إلى مزيد من المعلومات عن عديد من الذين ذكرت تراجمهم باختصار شديد.

كذلك يمكن البحث عن مزيد من أسماء الأئمة وردت أسماءهم في كتب التاريخ والتراجم هنا وهناك وذكر أنهم كانوا من أئمة الحرمين الشريفين ولم يرد ذكرهم في المصادر المعروفة.

وفي النهاية لا يسعنا إلا نشكر معالي الدكتور صالح بن حميد الذي سد ثغرة كبيرة وزوّد المكتبة الإسلامية بهذه الموسوعة العظيمة، جزاه الله خيرا ونفع الله المسلمين بعلمه ويتقبل جهوده في خدمة العلم وإصلاح البلاد والعباد والله يختص برحمته من يشاء.

## مشروع هيئة التنسيق والتعاون

الإِنْسَانُ مَدْنِيُّ الطَّبَعِ يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ فِي مجتمعٍ تَسُودُ فِيهِ عَلَاقَةُ التَّعَاوُنِ وَالتَّرَابِطِ وَيَصْبُو أَنْ يَعِيشَ فِي "المَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ" ذَكْرٌ مَلَامِحَهَا بَعْضُ الْفَلَاسِفَةِ وَقَدْ حَقَّ إِلَيْهِمْ هَذَا الْحَلْمُ فِي فَجْرٍ عَهْدَهُ حِيثُ عَمَّ الْعَدْلُ وَاحْتَفَى الظُّلْمُ وَعَاهَ النَّاسُ فِي مجتمعٍ مَثَالِيٍ لَا خَوْفَ فِيهِ وَلَا قَلْقَ، وَلَا اضْطِرَابٍ، وَشَعَرَ النَّاسُ بِالسَّكِينَةِ وَالظَّمَانِيَّةِ، رَغْمَ شَظْفِ الْعِيشِ وَقَلَّةِ الْمَوَسِّئَاتِ. لَمْ تَدْمِ هَذِهِ "المَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ" طَوِيلًا لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي طَبَيْعَةِ الْبَشَرِ عُومًا الْمَغَالِبَةَ وَالْمَشَاكِسَةَ.

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدُ

ذَا عَفْلَةً فَلَعْلَةً لَا تَظْلِمُ

وَلَأَنَّ دَوْمَ الْحَالِ مِنَ الْمَحَالِ.

إِنَّ إِلَيْهِمْ دِينٌ يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ فَمَنْ آمَنَ بِمِبَادِئِهِ رَشَدَ وَنَجَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَلَمْ يَقْبِلْ تَعَالِيمِهِ وَمِبَادِئِهِ فَلَا يَرْغُمُ عَلَى قَبْولِهَا إِذْ {لَا إِكْرَاهُ فِي الدِّينِ} قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.

ولا يقيم الإسلام الحاجز بين أتباعه وبين من لم يدخل في الإسلام من أمم العالم وشعوبه بل تبقى علاقة الداعي والمدعو قائمة بين أمة الدعوة والإجابة، والإسلام حق مشاع بين الناس جميعاً وليس هو دين فئة أو عنصر أو جنس أو لون، وهناك رابط أوسع ودائرة أرحب وهي رابط الإنسانية، يجمع بين المسلم وغير المسلم يقول الله عز وجل:

{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا}

فأصل الناس واحد، واختلاف الشعوب والقبائل للتعارف والتعاون وليس للنقاتل والتناجر، وهذه علاقة قوية يجب استشمارها لصالح الإنسانية جموعاً.

يقول أحد حكماء الأمة:

"لو أن بيبي وبين الناس شعرة لما قطعتها، إن أرخوها شدّتها، وإن شدّوها أرخيتها."

ومن أهداف التعارف إيصال الخير إلى الغير، وهذا يفتح باب العلاقات الدولية وتمهد الطريق للدبلوماسية الهدافـة.

تقوم السفارـات بربط الدول بعضها بعض وتقـيم العلاقات

الإستراتيجية مع شعوب العالم وحكوماتها.

"الدبلوماسية الحقيقة" لا تعني استخدام أساليب الدهاء والمكر أو إظهار غير ما يضمّره الإنسان بل "الدبلوماسية" بمعناها الاصطلاحي هي التمثيل الذكي تبدأ من الحوار النافع والمقادير البناءة وتحقق أهدافاً إستراتيجية مهمة تسعد بها البلاد والعباد.

في العصر الذي نعيش فيه كثرة المنازعات ومع وفرة وسائل التقارب تباعدت فيه القلوب وتناهت الشعوب لتواء عرقية ودينية وقضايا محلية وإقليمية، وإن دول العالم منقسمة بين غنية وفقيرة، ودول ذات أغلبية وأقلية مسلمة وغير مسلمة، وإن الأقليات مسلمة كانت أو غير مسلمة هي جزء من المجتمعات الإنسانية، وعلى الدول أن تراعي حقوق الأقليات ولا تمارس الظلم ضدها بسبب اختلاف الدين أو اختلاف اللون والجنس لأن قلق الأقليات يؤثر سلباً على استقرار البلد ويعرقل مشروعات التنمية للبلد كما أن وجود أقليات تشعر بأن حقوقها مهضومة قد يؤدي إلى اتخاذ خطوات محلية بالأمن ومنافية للبناء والتعمير.

يقول "ريتشارد ايلين" في كتابه "الأقليات... القضية القديمة لأوروبا الجديدة":

"على زعمائنا السياسيين أن يدركون أن احتياجات الأقليات والمقيمين ومطالبهم سوف تشهد تزايداً وإصراراً، وعدم الاستجابة لها قد تؤدي إلى أنشطة إرهابية فلابد من مواصلة الحوار مع الأقليات، وأن ترك الحوار بحجة ميل الأقليات إلى العنف غير صحيح".

ويقول اللورد ايكتون:

"إن خطة صهر الأقليات في بوتقة الأكثريّة من قبل الحكومات بالإكراه أو محاولة الدولة لطرد الأقليات والخلص منها محاولة فاشلة غير مجديّة.

كذلك هروب الأقليات من المشاركة في حكومة الأغلبية وانعزالها عن المجتمع غير إيجابية ومدمرة".

ويقول ايم بانيكر:

"ليس بالإمكان أن ينسى صاحب أي ديانة كيانه وتشخصه وأن الذين يرفعون شعار العلمانية هم علمانيون في الظاهر ولكنهم لا يزالون متمسكين بانتسابهم الديني فلا يخرجون من

دائريهم في الحياة الاجتماعية والممارسات اليومية".

إن التحديات التي تواجهها الأقليات المسلمة في العالم مع أن تعدادها لا يقل عن خمسمائة مليون نسمة في دول العالم المختلفة هي كالتالي:

- مشكلة الحفاظ على كيانها وهويتها الثقافية والدينية.
- محاولة التهميش السياسي من قبل الأغلبية الحاكمة.
- قلة الموارد المالية.
- ضعف التنسيق بين المؤسسات الإسلامية.

ويمكن التعامل مع هذه التحديات وغيرها:

- بقبول الأمر الواقع والتحرك في القدر المتاح من الحريات.
- الاندماج في المجتمع مع المحافظة على كيان الأقليات وعقيدتها.
- عدم الخروج على قوانين الدولة التي لا تعارض الدين.
- الابتعاد عن إثارة نقاط حساسة قدر الإمكان حتى لا تكون صحيحة غضب الأغلبية المدعومة من الحكومات القائمة.

- توحيد صفوف المسلمين.
- عدم قطع التواصل مع عقلاه القوم الذي لا يحملون الحقد ضد المسلمين.
- المساهمة الفعالة في بناء الدولة والمشاركة في برامج التنمية والإصلاح.

وعلى مستوى الدول الإسلامية هناك حاجة ماسة لتنشيط الدبلوماسية الشعبية للتعامل مع الشعوب المختلفة وذلك بعيدا عن القنوات الرسمية أو السفارات القائمة لما لها من حساسية والدبلوماسية المقترحة هي عبارة عن تشكيل "هيئة التنسيق والتعاون" الدولية.

تقوم هذه الهيئة بإقامة العلاقات المباشرة مع الشخصيات الفاعلة من رؤساء جمعيات النفع العام وأعضاء البرلمان المعتدلين لمناقشة قضايا الأقليات وكل ما يكون في صالح بلدان مختلفين.

تضم الهيئة أعضاءهم بمنزلة "سفراء التوايا الحسنة" غير تابعين لوزارات الخارجية ويكون دور الهيئة فتح قنوات الاتصال على المستويين الشعبي والرسمي إذا دعا الأمر إلى ذلك. والله

ولي التوفيق،،،

## مجمع الفقه الإسلامي بالهند

إن مجمع الفقه الإسلامي بالهند يعتبر نمطاً جديداً وطرازاً فريداً في حل القضايا الفقهية المعاصرة حيث أنه أسس في محيط محافظ للعلماء التقليديين الذين يلتزمون التزاماً كاملاً ودقيقاً بما هو المأثور من الفتاوى والأحكام<sup>٩</sup> ولا يرون الخروج على المأثور عرفاً والمنقول من فروع المذهب عملاً إلا في حدود ضيقه وبشروط خاصة وفي ظروف نادرة واستثنائية.

في مثل هذه البيئة كان إنشاء مجمع الفقه الإسلامي خطوة رائدة وموفقة<sup>١٠</sup> فرفع المجمع رأية حل القضايا الفقهية المعاصرة وبروح الانفتاح على العالم، والمرونة في التعامل والاستفادة من كافة المذاهب مع الالتزام بعدم إثارة البلبلة في المجتمع وعدم تمييع الأصول والمبادئ أو التنازل عن ثوابت وضروريات الدين.

إن الشيخ الراحل العلامة الفقيه مجاهد الإسلام القاسمي كان يملك ذكاءً خارقاً ومواهباً علمية وقضائية نادرة، كان يتمتع بدقة الفهم وحصافة الرأي وبعد النظر كما كان يتميز بين

**الأقران بغزارة العلم وقوه العارضة وقدره امتلاك ناصية الجماهير  
بحسن كلامه وروعة خطابه.**

لقد عاش الفقيد حياة حافلة بالأمجاد مليئة بالتجارب كان  
قاضياً<sup>٩</sup> خبر حياة الناس وعرف أمراض المجتمع عن كثب كما  
درس حقائق الفقه و دقائقها بعمق وأدرك ما للظروف المتغيرة من  
أحكام.

وكان العلم شعاره ودثاره والفقه روحه ومزاجه فكان فقيه  
النفس<sup>١٠</sup> بصيراً بالأمور<sup>١١</sup> حاذقاً في حل المشكلات<sup>١٢</sup> عظيماً تربى  
بين العظماء وفاق أقرانه.

فأسس مجمع الفقه الإسلامي في عام ١٩٨٨ م بهدف حل  
القضايا الفقهية المعاصرة<sup>١٣</sup> وفتح باب الاجتهاد لأهله وفي محله  
متأسياً بالفقهاء الأعلام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن  
الحسن الشيباني فقد كان للإمام الأعظم أبي حنفية العمان سبق  
في إنشاء أول مجمع فقه إسلامي بمعنى الكلمة وذلك بجمع  
ذوي الاختصاص في صنوف المعرفة المختلفة بحلقته ومناقشة  
القضايا الفقهية قبل إقرار أحكامها.

بدأ مجمع الفقه الإسلامي بالهند عقد سلسلة ندوات فقهية

سنوية يشارك فيها العلماء من داخل الهند وخارجها ومن أبرز من شارك فيها وشاهد منهج المجمع عن كثب من الفقهاء المعاصرین:

- الأستاذ الدكتور محمد الحبيب بلخوجه
  - الأستاذ الدكتور علي جمعه
  - الأستاذ الدكتور خالد المذكور
  - الدكتور مسفر القحطاني
  - الأستاذ الدكتور محمد عبد الغفار الشريف
  - الدكتور طه جابر العلواني
  - الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي
  - الدكتور جمال الدين عطيه
  - الأستاذ الدكتور محمد محروس المدرس
  - الدكتور صلاح سلطان
  - الشيخ العالمة محمد تقى العثمانى
  - فضيلة الشيخ محمد رفيع العثمانى
  - الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعه جي
- وآخرون شهدوا منهجه الشیخ وعقربته في حل القضايا

العویصة وأسلوبه في تربیة الجيل الجديد من الفقهاء الشباب.  
لقد عقد مجمع الفقه الإسلامي بالهند خلال السنوات  
الماضية أكثر من ١٩ ندوة فقهية عالمية ناقش من خلالها أكثر  
من ٢٠٠ مسألة، من بينها قضايا طبية واقتصادية كما أن فيها  
قضايا اجتماعية وسياسية.

إن قرارات مجمع الفقه الإسلامي بالهند كسبت اعتبارا  
لدى الفقهاء ونالت ثقة وقبولا بين العلماء والفقهاء في حل كثير  
من المسائل العویصة.

ومما يدل على أهمية القرارات الصادرة عن مجمع الفقه  
الإسلامي بالهند أن المجامع الفقهية الأخرى ترجع إليها وتشيد  
بها كما أن الباحثين والدارسين في الدراسات العليا جعلوا نظام  
المجمع ومنهجه في تناول القضايا المعاصرة وقراراته موضوعا  
للدراسات الأكاديمية لنيل الشهادات العليا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجلس الفكر الإسلامي الأعلى  
في جمهورية باكستان الإسلامية وهو هيئة حكومية عليا كانت  
قد أنشئت بهدف تقويم أحكام الشريعة وجعلها صالحة  
للاستفادة منها في المحاكم الإسلامية قابلة للتطبيق في

المجتمعات المعاصرة.

وهذا المجلس قد استند في بعض أحكامه إلى قرارات  
مجمع الفقه الإسلامي بالهند مرجعاً ومستنداً لها.

كما أن أحد الطلاب في دمشق قد نال شهادة الدكتوراه  
على كتابة بحث حول المجامع الفقهية المعاصرة ومن بينها  
مجمع الفقه الإسلامي بالهند.

وقد أعدت الرسالة تحت إشراف فضيلة الدكتور و به  
مصطفى الرحيلي الفقيه المعروف وصاحب الموسوعات الفقهية  
النادرة.

ويقوم حالياً أحد الباحثين الألمان بإعداد دراسة خاصة عن  
المجامع الفقهية في شرق آسيا ومن بين اهتماماته دراسة أعمال  
مجمع الفقه الإسلامي بالهند.

كما ان كتاب "فقه النوازل" دراسة تأصيلية وتطبيقية<sup>٩</sup> الذي  
ألفه الباحث السعودي محمد بن حسين الجيزاني في أربع  
مجلدات قد ضمن دراسته عديداً من قرارات مجمع الفقه  
الإسلامي بالهند إلى جانب قرارات المجامع الفقهية الأخرى.  
أما المنهج المتبعة في مجمع الفقه الإسلامي أو آلية العمل

**لتناول القضايا المستحدثة فيتخد المجمع الخطوات التالية:**

- يتم اختيار الموضوع وتحديد عنوان الندوة والقضايا القابلة للبحث عنها ومناقشتها باستشارة من بعض أهل العلم ذوى الاختصاص والاطلاع سواء كانوا من داخل الهند أو خارجها.
- تتم صياغة الأسئلة بعنایة فائقة يوضح من خلالها كافة جوانب المسألة وما يترب عليها من آثار حتى يكتب الفقيه الباحث الرد على بصيرة.
- لأن الحكم على الشيء فرع لتصوره" فتصور المسألة وتصويرها يسبق التكييف الفقهي لها ثم تطبيق القواعد التي تدرج فيها المسألة، ثم إن معرفة الملابسات والقرائن والأحوال تكون رائدة للوصول إلى النتيجة السليمة أو الحكم الشرعي المطلوب.
- يرفق مع الأسئلة دراسة فنية مختصرة إذا كان الموضوع طبياً أو اقتصادياً ويحتاج إلى الإيضاح من قبل ذوي الاختصاص.
- ترسل الأسئلة قبل عدة شهور من موعد انعقاد الندوة

إلى نخبة من فقهاء العالم الإسلامي من داخل الهند  
وخارجها للمشاركة وإثراء الموضوع.

- تطلب الأبحاث أو الردود على الأسئلة قبل فسحة كافية حتى يتم تلخيصها وإعدادها للعرض على الندوة.
- يعد عرض المسألة بدقة وعناية تحصر فيها آراء الفقهاء وأدلةهم بعد قراءة أبحاثهم.
- يكتفي أثناء الندوة على عرض المسألة وبيان آراء كل من المشاركين باختصار حفاظاً على الوقت ثم يطرح الموضوع للمناقشة ويعطي كل باحث أو مشارك فرصة كافية لبيان وجهة نظره وأدله.
- يعطى لخبراء الاقتصاد أو العلوم التجريبية من الطب أو الفيزياء وغيرها وقتاً كافياً لعرض الحقائق العلمية عن المسألة على شاشة العرض أو شفويًا.
- يتخذ القرار بعد مناقشات ومداولات مستفيضة.
- يسجل الرأي المخالف أيضاً إذا كان وجيهها ولو كان ضد القرار الذي يتم اتخاذه بأغلبية المشاركين وهوافي قائمة بعض المسائل التي تناولها مجمع الفقه الإسلامي بالهند

بالبحث والمناقشة وأصدرت عنها قرارات فقهية:

- مسألة زراعة الأعضاء.
- حكم تحديد النسل وتنظيم الأسرة.
- حكم بدل خلو البيوت والمحلات التجارية.
- حكم بيع الحقوق المجردة والعلامات التجارية.
- ضوابط وأصول لإنشاء المصرف الإسلامي.
- البيع بالتقسيط وبيع المربحة.
- سوق الأوراق المالية.
- حكم التأمين التجاري.
- قضايا الزكاة المعاصرة.
- نظام العشر والخرج وتطبيقاته على الأراضي الهندية.
- حكم ذبح الحيوانات بالماكينة.
- مفهوم الضرورة عند الفقهاء وتطبيقاتها المعاصرة.
- أخلاقيات الطبيب.
- العرف والعادة وتطبيقاته المعاصرة.
- قضايا الحج والعمرمة المستجدة.

- حكم تجارة الأسماك في البرك الخاصة والأحواض.
- صور للبيع قبل القبض ومفهوم التقابض في البيوع.
- حكم التعامل بالأسمهم والسنادات.
- حكم الاستنساخ البشري.
- الكفاءة في النكاح ومقاييسها الجديدة.
- حكم الولاية في النكاح في الظروف المتغيرة.
- حكم التعامل بالانترنت.
- حكم وقوع طلاق السكران.
- أثر التحول الكيماوي وتبدل الماهية في الأعيان.
- حكم هدم المسجد ونقله إلى مكان آخر.

وقد طبعت أبحاث الندوات الفقهية السنوية في ٢٢ مجلداً

كما أن عدد إصدارات المجمع يزيد عن ١٠٠ كتاب.

ولا تقتصر جهود مجمع الفقه الإسلامي على عقد الندوات واتخاذ القرارات بل انه يواصل العمل مع الجيل الجديد من علماء الدين فيقيم دورات تدريبية وورش العمل حول عدد من الموضوعات مثل مقاصد الشريعة الإسلامية<sup>٩</sup> ومفهوم الاجتهاد وضوابطه في العالم المعاصر.

فقد عقد المجمع عشرات من ورش العمل شارك فيها المحاضرون من الدول العربية والإسلامية وحضرها طلاب الدراسات الشرعية العليا كما أن لدى المجمع أقسام لتحقيق التراث وإعداد الكوادر القيادية في مجالات الحياة المختلفة.

إن التركيز على ذكر إنجازات مجمع الفقه الإسلامي بالهند لا يعني نفي الأعمال السابقة واللاحقة المتواصلة لإدارات الإفتاء ومراكز الدراسات الفقهية الأخرى في شبه القارة الهندية أو إنكار جهود بعض منها في وضع الحلول للعديد من القضايا المستجدة والشائكة بل إن مجمع الفقه الإسلامي هو امتداد طبيعي لما سبقه من جهود في هذا المجال سواء كانت تلك الجهود فردية من قبل أعلام الفقه والإفتاء الذين لهم مرجعيتهم ومكانتهم أو من قبل إدارات الدراسات والبحوث الفقهية المنتشرة هنا وهناك وغير المتواصلة لأسباب وظروف خاصة بها.

إن تاريخ الفتوى في الهند بعد عصر الإمبراطورية المغولية المسلمة لا يكتمل من غير ذكر رجال الإفتاء الذين تعرف مجموعات الفتوى بأسمائهم كإمام الشیخ عبد العزیز بن ولی الله الدھلوی صاحب "الفتاوى العزیزیة".

والشيخ الإمام رشيد أحمد الكنكوفي صاحب "الفتاوى الرشيدية" والشيخ الجليل نذير حسين الدهلوi صاحب "الفتاوى النذيرية" والشيخ الإمام أشرف علي التهانوي صاحب "إمداد الفتاوى" والمؤلفات الفقهية النادرة.

والشيخ الفقيه العالمة محمد شفيع صاحب "فتاوى دار العلوم" والعلامة الفقيه الشيخ المفتى كفاية الله صاحب كتاب "كفاية المفتى".

والشيخ الفقيه المحدث مهدي حسن الشاهجهان فوري<sup>\*</sup> والشيخ العالمة ظفر أحمد العثماني<sup>\*</sup> والشيخ المفتى محمود حسن الكنكوفي صاحب "الفتاوى محمودية" والشيخ العالمة المفتى عبد الرحيم اللاجفوري صاحب "الفتاوى الرحيمية" وغيرهم.

وقد امتاز من بينهم الشيخ الإمام أشرف علي التهانوي والشيخ الفقيه محمد شفيع والد الشيخ محمد تقى العثمانى بغزاره الإنتاج وكثرة الاهتمام بحل القضايا الجديدة والمحيرة وبغاية من الدقة والاتقان<sup>\*</sup> وله رسائل وكتب عن التأمين<sup>\*</sup> وزراعة الأعضاء، وبيع الحقوق المجردة، وتشريح الجثث وغيرها في

المسائل الخاصة بالأحوال الشخصية مثل "الحيلة الناجزة للحيلة العاجزة" إلى جانب مجموعات فتاواهم المدونة، وإن الشيخ محمد شفيع وحده كتب بخط يده أكثر من مائة ألف فتوى.

هؤلاء كلهم بشكل أو باخر ينتمون إلى منهج الإمام  
المجدد ولی الله بن عبد الرحيم الدھلوي المتوفى ١١٧٦ھ  
صاحب مدرسة خاصة في بيان مقاصد الشريعة ومصالح  
الأحكام مؤلف كتاب حجة الله البالغة.

ومن الحقائق التي يجب إدراكها والتنبه لها ومرااعاتها من قبل مراكز الإفتاء والمجامع الفقهية ان المسلمين الذين يعيشون في بلاد ذات أغلبيات غير مسلمة ويصنفون كأقليات مسلمة لهم ظروفهم الخاصة فما يصلح الإعلان عنه والإصرار عليه في البلاد المسلمة قد لا يصلح اختياره في بلاد الأقليات.

وأوضح مثال لذلك أن الجزئية الخاصة بنقل المسجد من مكانه أو هدمه لتوسيع الشارع وما شابه ذلك كما هو المذكور في كتب الفروع لدى بعض المذاهب الفقهية والمعمول به في بعض البلاد الإسلامية غير صالحة لأن تؤخذ بها في بلاد غير

مسلمة وإن لحرم المسلمين من معظم المساجد الرئيسة  
ولهدمت كثير من مراكزهم وأماكن عبادتهم.

كذلك التركيز الزائد على مقاصد الشريعة وإعطاءها حجماً  
أكبر من اللازم كان الفقه الموروث لم يراع هذا الجانب قد  
يفتح أبواباً للانفلات والتخلص من كثير من الأحكام الشرعية  
وبحجج غير كافية.

إن مجمع الفقه الإسلامي بالهند مع إيمانه بالانفتاح على  
مذاهب الأئمة الفقهاء وتوسيعه في مراعاة الظروف الراهنة لا  
يترك جانب الاحتياط ومبدأ محاولة الخروج من خلاف العلماء  
في معظم أبحاثه وقراراته.

وهناك موقف إيماني لأحد الفقهاء المتأخرين من الهند وهو  
مؤسس منظمة الإمارة الشرعية على مبدأ يصير القاضي قاضياً  
بتراضي المسلمين في بلاد فقد فيها المسلمين السلطة<sup>٩</sup> وهو  
الشيخ محمد سجاد أنه لما سُئل أن الأضحية يمكن أن تكون  
بذبح الغنم كما تؤدي بذبح البقر فإذا كان الأمران جائزان ولم  
يأمر الإسلام بذبح البقر تحديداً فلم لا نتوقف عن ذبح الأبقار  
نهاياً جبراً لخاطر الهنود الذين يؤلمهم ذبح البقر فرد الشيخ

قائلاً:

"لم لا تقول لزعمائهم: إن المسلمين حينما يرون الأصنام  
تعبد جهاراً نهاراً" وتقام معالم شركية وثنية في قارعة الطريق وفي  
كل بقعة من بقاع الأرض<sup>٩</sup> فان هذا المنظر يجرح مشاعرهم  
فعلى الهندوس أن يتركوا بناء هذه المعالم في الشوارع  
والطرقات وفي الأماكن العامة خارج معابدهم" تقديرًا لمشاعر  
المسلمين وجبراً لخاطرهم؟

إن مجمع الفقه الإسلامي موقعه ومقره في الهند بلد ذي  
أغلبية غير مسلمة ساحقة فمن الطبيعي أن يكون له اهتمام  
خاص بفقه الأقليات ويكون له منهج في طرح المسائل  
ومناقشته يختلف بعض الشيء عن المجامع المماثلة وذلك لدرا  
الفتنة عن المسلمين<sup>١٠</sup> فالتركيز على بعض المباحث قد يؤدي  
إلى فرض أحكام جائرة على المسلمين في بلاد الأقليات.

لذا يجب معالجة الأمور مع مراعاة الظروف والتجنب من  
المبالغة في التنظير دون النظر إلى ما يتربى عليه من آثار.  
وتتجدر الإشارة إلى أن أحد أهم إنجازات مجمع الفقه  
الإسلامي قيامه بترجمة الموسوعة الفقهية الكويتية كاملة إلى

اللغة الأردو وهي ماثلة للطباعة الآن بل قد طبع منها نحو ١٢ جزءاً.

إن أعمال المجامع الفقهية عموما وإنجازاتها على اختلاف أماكنها أنشطتها وتعدد مناهجها في تناول القضايا الفقهية المعاصرة هي ثروة علمية كبيرة<sup>٩</sup> وإن قراراتها حول القضايا المعاصرة تختلف انتفاها وانغلاقا باختلاف مقار عملها ولكنها على تنوعها تشكل عملا جادا ونافعا، بل إن بعض المؤسسات التي لا تحمل عنوان مجمع الفقه جهودها وإنجازاتها ليست أقل قيمة وأهمية من أعمال المجامع الفقهية المعروفة ويدرك على سبيل المثال المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بدولة الكويت التي قدمت خلال ندواتها الفقهية الطبية القضايا الفقهية المهمة وجمعت الفقهاء والأطباء لإيجاد الحلول الشرعية للعديد من القضايا الدقيقة والحساسة.

وللحد على ما يشاهد من فوضي عارمة في دنيا الإفتاء وما يلاحظ من عدم الانضباط في إصدار فتاوى شاذة وغريبة من جهات وأشخاص مجهملين ومن غير أهل الاختصاص وفي القضايا الحساسة للغاية، وتروجيتها من خلال الفضائيات وشبكة

الإنترنت حتى أصبحت "الفتاوى" موضوع سخرية وتندر لدى بعض مناويي الإسلام وفتنة للمسلمين.

يجب اتخاذ الخطوات التالية:

- تفعيل المجامع الفقهية وتطوير أعمالها وإخراجها من الأسلوب التقليدي<sup>٩</sup> والمبادرة باحتواء الموقف بإصدار الفتوى في القضايا المهمة قبل استغلالها من قبل جهات غير مؤهلة وغير مسؤولة.
  - بث الثقة في نفوس العامة وكذلك الشباب حول سلوكيات القائمين بالإفتاء وأهمية الإفتاء في الدين والتجنب من انفتاح قد يكون انفلاتاً.
  - التنسيق بين المجامع الفقهية ومؤسسات الإفتاء التقليدية تفاديا للتناقض والتضارب في القرارات.
  - عدم الانجرار تحت ضغوط داخلية أو خارجية إلى تبرير المواقف المعينة للجهات الرسمية<sup>١٠</sup> وإبقاء المجامع الفقهية ومؤسسات الإفتاء على استقلاليتها في دراساتها وأبحاثها وفتاويها وقراراتها.
- وبهذا يمكن أن نصل إلى الهدف المنشود في إرشاد الناس وأن

نعيid للفتوى مكانتها وموقعها في النفوس<sup>٩</sup> وللمفتى مكانته  
وهيبيته أمام الجماهير. والله ولي التوفيق،،،

\* \* \*

## نحو حماية وتنمية الأوقاف في الهند

الأسلوب المتبعة في ندوات مجمع الفقه الإسلامي أن تقدم خلاصات أبحاث أو آراء الفقهاء المشاركين عن الموضوع المطروح للمناقشة والعارض يبين ما هي آراء العلماء مع ذكر أسمائهم ولكن فيما يتعلق بموضوع الوقف فقد سبق أن المجمع قد عقد ندوة خاصة عن الوقف والممتلكات الوقفية في الهند وأصدر كتابا باللغة العربية وكتابا آخر بالأردية كما أن الشيخ الراحل مجاهد الإسلام القاسمي رحمه الله له كتيب صغير عن تنمية الوقف من أجل ذلك أريد أن اختصروا اكتفى بإبراز بعض النقاط فليس هناك قضايا محددة للنقاش بل مجرد بحث إمكانيةربط الأوقاف في الهند بخطة تطوير تنمية الأوقاف ، ويشرفنا بأن يكون بيننا الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت فضيلة الدكتور محمد عبد الغفار الشريف فهو صاحب الاختصاص والذي بيده القرار النهائي وليس الفتوى الشرعية فقط .

إن حقيقة الوقف معروفة بأنها "تحبيس الأصل وتسبييل الثمرة" وهو يعتبر من أهم المبادئ التي أرشد إليها ديننا الإسلامي الحنيف ففي العصور الغابرة أو في عصر إزدهار المسلمين كان الوقف متطوراً جداً ، حينما يستعرض الإنسان الكتب التاريخية أو الرحلات لابن بطوطة أو لابن جبير وغيرها من الرحالة الذين جالوا حول العالم فيجد أن هناك أنواعاً من الأوقاف كان لها تأثير كبير في تطوير الحركة العلمية في البلاد الإسلامية لم تصل الدول الغربية إلى هذا المستوى من التطور رغم كل ما يقال عن تطورها فلم يصلوا إلى هذا المستوى في تنوع النماذج الوقفية وتوفير الراحة للآخرين فكانت هناك أوقاف خاصة للمساجد والمدارس والزوايا وغيرها وبل كانت هناك أوقاف خاصة برعاية الكلاب الضالة على سبيل المثال أو القطط التي تحتاج للتغذية بل بعض منهم أبدعوا في هذا المجال إلى درجة بأن الخدم الذين يشتغلون في البيوت حينما ينكسر منهم المواقعين ويخشى بأن كفلاً لهم والذين يملكونهم يغضبون عليهم وينتقمون منهم فأنشأوا وقفاً خاصاً لجبر خاطر هؤلاء المساكين حتى يشتروا البديل ولا يواجهوا موقفاً صعباً.

إن أحد العلماء المغاربة ألف كتابا عن "الوقف" في جزأين وإن كان كتابه يحتوي على موضوعات مشتتة لكن فيه معلومات كثيرة عن الأوقاف وعن إدارة وأنواع الأوقاف وهناك كتب كثيرة ألفت في موضوع الوقف وهي تذكر أن المسلمين كانوا قد أوجدوا في المستشفيات أو البيمارستانات نظاما متطولا ورافقا إلى درجة أن المريض حينما يشفى من المرض فيوفر له نوع معين من الغذاء أو حتى نوع معين من النغمات الموسيقية لراحة النفسية وإنعاشه بعد المرض كما كان يوفر له رقائق للأكل وملابس خاصة وكلها كان من أموال الوقف حتى ان دور العلم ومراكز الدراسات التي أنشئت في عصر الخليفة المأمون كان وراءها الأموال الوقفية وهكذا في العالم الإسلامي بشكل عام كانت حركة الوقف موأبة للتطور الحضاري، وخدم المسلمين من خلال الأوقاف كثيرا من المجالات العلمية والثقافية والعمانية جاء بعد ذلك فترة الركود وسوء التصرف في إدارة أموال الوقف جعل الناس يتندرون ويذكرون نكات عن الأموال الوقفية فيقول الحافظ الشيرازي وهو أحد أبرز الشعراء الفرس يقول في بيت شعر معناه: إن فقيه المدينة كان أمس في حالة

السكر فأفتى أن الخمر حرام ولكنه أفضل من مال الوقف".  
ففي العصور المتأخرة كان سوء استغلال من قبل المتولين  
للأوقاف كما أن بعض الحكومات تصرفت بصرفات خاطئة.  
أما ما يتعلق بالهند فهي الهند أوقاف كثيرة، البلد ظل تحت  
حكم المسلمين طوال ثمانية قرون أو أكثر فنجد في دلهي وفي  
حيدر آباد وفي كل المناطق وجميع الولايات بما فيه القرى  
والأرياف توجد فيها ممتلكات وقفية ولكن كثيرا منها تعاني من  
أمرين: إن جزءاً كبيراً منها تحت سيطرة واحتلال من قبل  
الحكومات المركزية أو المحلية، وجزءاً آخر في أيدي  
المسلمين أنفسهم لكنهم يسيئون التصرف فيه فمال الوقف  
أصبح ملكاً لهم يتصرفون فيه كيف يشاءون، الآن قد زاد  
الاهتمام بتنمية وتطوير الموارد الوقفية وكما أوضحت أن دولة  
الكويت كان لها سبق في هذا المجال، فالكويت قد أنشأت  
الأمانة العامة للأوقاف وكانت فعلاً تجربة فريدة ورائدة بشهادة  
الجميع، والتي فتحت أمامنا المجال بأنه كيف يمكن أن نبني  
الأوقاف ونزيد في ريع الوقف؟ وكيف نحافظ على الأوقاف  
الموجودة ثم نستثمرها حتى لا تضيع ولا تنقرض؟

قديماً كان الفقهاء يناقشون موضوع استبدال الوقف وما شابه ذلك والآن تعقد ندوات في الكويت وفي خارج الكويت وفي المملكة العربية السعودية وغيرها عن استثمار الوقف وعن استخدام الأساليب الحديثة لتفعيله فهناك قضايا مدونة موجودة.

أما في الهند فإن في بعض الولايات ٢٠٪ في المائة وفي بعض الولايات ٧٥٪ بالمائة و ٧٠٪ بالمائة من الممتلكات الوقفية ضائعة إما بسوء تصرف متولي الأوقاف أو بسبب إحراز الحكومة لتلك الأراضي ونظراً إلى هذا الواقع المؤلم ينبغي أن نعمل لإنقاذ هذه الأوقاف والممتلكات الوقفية.

ومن ناحية ثانية إن الوثائق تؤكد بأن في دلهي عدد الأوقاف يبلغ ألفاً وستاً وأربعين وقفاً وفي ولاية بيهار يوجد إثنان وعشرون ألفاً وثمانون وقفاً مسجلاً ولكن هيئة الوقف لا تملك الإمكانيات لتغطية المصروف السنوية فأصبحت الأوقاف معرضة للاستغلال من قبل الحكومة وبالتالي للضياع أكثر فأكثر فكيف يمكن إنقاذ هذه الأوقاف؟

والهدف الأساسي لطرح هذا الموضوع الآن هو أن عدد المسلمين في الهند هائل ولهم احتياجات كبيرة ولو استغلت هذه

الممتلكات الوقفية استغلالاً صحيحاً فهـي تكفي لإدارة الدولة بالكامل فضلاً أن تكون كافية لاحتياجات المسلمين فعلى المسلمين أن يحاولوا ويذلوا جهودهم لإنقاذ ما تم إحرازه ظلماً من قبل حكومات الولايات أن الجهد في هذا المجال برفع القضايا إلى المحاكم يكون مؤثراً ونافعاً فيمكن استرداد بعض الممتلكات الوقفية.

قبل فترة عقدت في الكويت ندوة حول القضايا الوقفية ونوقش موضوع وقف المرهون ، فمعظم الفقهاء من بينهم الشيخ محمد مختار السالمي والشيخ صديق محمد أمين الضربير بنوا رأيهم بأن الشيء المرهون يعتبر ضائعاً فلا ينبغي أن نهتم به ولكن كان لي رأي وأوضحته لبعض المشاركين بأن بلداً مثل الهند على سبيل المثال، يمكن أن تكون هناك أراضي وتصل قيمتها إلى مليون دينار كويتي ولكنها مرهونة عند شخص بمائة ألف روبية أو أقل من هذا وصاحبها يريد أن يجعلها وقفاً ولكنه لا يملك مالاً لاستردادها فهل تعتبرها ضائعة؟ فمعنى ذلك ترك ونسكت عنها لكنني أرى بأن بدل أن ترك العقار المرهون ونفتني بعدم جواز وقف المرهون لو نجحنا في إنشاء

جهة تبني مشروع إنقاذ المرهون من المرتهن وهو قد يكون غير مسلم واعتبار العقار الذي يبلغ قيمته مليون دينار وقفا تقوم جهة مثل الأمانة العامة للأوقاف بتسديد مائة ألف روبيه وتنفذ الأرض الوقفية الكبيرة ويستفاد منها لصالح المسلمين بدل أن تذهب ممتلكات المسلمين إلى المرتهنين بشمن نجس.

والأمر الثاني هي فكرة إنشاء أوقاف جديدة في الهند وفتح نظام الصناديق الوقفية كما انشئت في الكويت مثل صندوق خاص للتكنولوجيا وصندوق خاص للعلم وصندوق خاص للقرآن الكريم وصندوق خاص لرعاية الأرامل والمطلقات وصندوق خاص بالأسرى والمصابين فمثل ما كان تاريخ المسلمين حافلا مجيدا في هذا المجال بأن السابقين اهتموا حتى بالقطط والكلاب وغيرها فمن الواجب أن يكون هناك اهتمام بالأرامل والأيتام وبدوي الحاجات والمرضى فمثلا يوجد مريض يحتاج إلى إجراء العملية في لندن وغير قادر على توفير النفقات فمن أين يمول هذا الشخص ؟ أو تكون أرملة ليس لها كافل من أين تأخذ نفقاتها؟ وهذا الموضوع يحتاج إلى عقد ندوة فقهية تخرج بقرارات في هذا الخصوص بإنشاء صناديق

أو بإنشاء أوقاف خاصة لتنجذب هذه الجوانب وهناك حاجة إلى المحاولة القانونية لاسترداد الأراضي الوقفية الباقية في أيدي الغاصبين سواء كان الاعتداء من جهات رسمية حكومية أو كان من قبل الأفراد والجماعات.

وفي النهاية أريد أن أقول أن الشيخ مجاهد القاسمي حينما زار الكويت قبل وفاته كان قد وقع اتفاقية التعاون بين الأمانة العامة للأوقاف ومجمع الفقه الإسلامي بالهند وكذلك إتفاقية تعاون أخرى بين الأمانة العامة للأوقاف والمعهد العالي للقضاء والإفتاء في بنته واتفاقية ثالثة لاستثمار بعض الأموال الوقفية داخل الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت لدعم مشروعات معينة في الهند، وان النجاح في تحقيق هذا الهدف يساهم في دعم المشروعات الثقافية والعلمية والدينية في الهند وينفذ مئات من العلماء من الذهاب إلى دول الخليج أو غيرها لجمع التبرعات والوقوف في الطوابير على أبواب المحسنين.

إن الوضع العام منذ أحاديث الحادي عشر من سبتمبر يتطلب أن نهتم بإنشاء أوقاف جديدة واستثمار وتنمية القديمة منها لأن الدعم المالي المباشر الخارجي معرض لأن يتوقف فإذا

سمحت القوانين بالاستثمار الخارجي فسوف يكون مكسباً كبيراً  
للمسلمين وضماناً لحمايتهم كما أن فيه صوناً لماء وجه العلماء  
وإخراجاً للمحسنين من الإحراج. والله ولي التوفيق

\* \* \*

## أدب نجيب محفوظ بين إرتفاع و سقوط

### ورقة مقدمة

إلى ندوة "القصة العربية بين نجيب محفوظ و معاصرية"  
المعقدة في مركز الدراسات العربية بالمعهد المركزي للغة الانكليزية واللغات  
الأجنبية في مدينة حيدرآباد بالهند

يرتبط الأدب بالحياة إرتباط المقدمة بالنتيجة، و إربط الشمرة بالشجرة فبينما كانت القصة القديمة تدور في إطار عالم مثالي أو خرافي أو وهمي. قد اتسعت دائرة القصة الحديثة مع تطور الحياة و التغيير الاجتماعي، فاتخذت شكلاً جديداً و مضموناً حديثاً. أمّا الرواية (Novel) فهي قصة ممتدة إمتداداً واسعاً فيها شخصيات و أحداث أو هي تجربة أدبية تصوّر بالنشر حياة مجموعة من الشخصيات المتفاعلة فيما بينها – تقدم إطار عالم متخيّل قريب مما يحدث في الواقع و يعيشه الكاتب، و الأدب إنعكاس إيجابي لما يحتاج إليه الواقع و تعبيّر عمّا يحتاج إليه المجتمع من أجل ذلك يقال: "إن الأدب مرآة المجتمع"

أو كما قيل: "إن الشعر ديوان العرب".

و قد عرف الناس قديماً الأساطير عن الأشباح و العفاريت كما توجد قصص الأنبياء و الصالحين، و السير على اختلاف أنواعها: الدينية و الأدبية و التاريخية و الشعبية و الذاتية، و هناك قصص تروى عن الأمثال السائرة كما أن القدماء كتبوا القصص الفلسفية و الأخلاقية و حكايات و قصص على لسان الحيوانات و مغامرات الشطار و نوادر الظرفاء و البخلاء و الحمقى و حكايا منسوبة إلى أبي نواسٍ و جحا و أبي دلامة و هناك ما يسمى بأدب المقامات، و نقلت الكتب السماوية قصصاً تتعلق بخلق الإنسان و الكون و الملائكة و توجد قصص موسى و فرعون، و إبراهيم و النمرود و سليمان و ملكة سبا في الإنجيل و التوراة و القرآن.

كما أن في القرآن آية صريحة تدل على عنايته بالقصة، فقد جاء في سورة يوسف: "نحن نقص عليك أحسن القصص".

و قد وردت في القرآن كلمة قصة مفردة و جمعاً و فعلاً في نحو ٣٠ موضعًا و سميت سورة بأكملها بسورة القصص و يقول القرآن: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب".

إن نجيب محفوظ من رواد الفن القصصي المعاصر، اشتهر بإنتاجه الأدبي المتواصل منذ ثلاثينيات القرن العشرين، فقد ظهرت باكورة إنتاجه في صورة كتاب مترجم من اللغة الأجنبية بإيعاز من أستاذة سلامه موسى في عام ١٩٣٢.

ثم نشر مجموعته القصصية بعنوان "همس الجنون" في عام ١٩٣٨، و من بين محتوياتها "ثمن السعادة" و "نكت الأمة" و "إصلاح القبور" و غيرها.

ثم أصدر رواياته-: "عبث الأقدار" و "رادوبيس" و "كافح طيبة". كما اشتهرت رواياته التي تحمل عناوين-: "القاهرة الجديدة" و "خان الخليلي" و "زقاق المدق" و "في السرداد" و "بداية ونهاية" و لكل منها خصائصها الفنية أبرزها النّقاد.

ثم ألف نجيب محفوظ ثلاثة المعروفة التي تتألف من "بين القصرين" في ١٩٥٦ و "قصر الشوق" في ١٩٥٧ و "السكرية" في ١٩٥٨ و هي في الواقع رواية واحدة في ثلاثة أجزاء كل جزء منها تصور حياة جيلٍ جديد، من أجل ذلك تسمى هذه الثلاثية برواية الأجيال،

فقد أبدع نجيب محفوظ في تصوير حياة أسرة بطل روايته أحمد عبدالجود عبر ثلاثة أجيال، صور جيل الآباء في "بين القصرين" و جيل الأبناء في "قصر الشوق" و جيل الأحفاد في "السکرية"، و قام بمسح إجتماعي و تاريخي شامل بتطور المجتمع المصري من خلال حياة أسرة من الطبقة الوسطى خلال ثلثين عاماً بين ١٩١٤-١٩٤٤ م.

و تمثل هذه الرواية الثلاثية ثلاثة أطوار فكرية مر بها المجتمع المصري من التكوين النفسي والفكري. في بين القصرين تمثل مرحلة الإيمان المطلق بالقيم و الخضوع الكامل لسيطرة الأب على البيت و الأسرة، و قصر الشوق تمثل مرحلة التردد بين الشك و اليقين و الحيرة بين المحافظة و التحرر، و السکرية تمثل الإنتماء لموقف فكري أو سلوك إجتماعي و إلتزام الفرد بهما في وضوح و إصرار.

ولنجيب محفوظ رواية بعنوان "الشحاذ" و أخرى بعنوان "اللص والكلاب".

و قد نالت روايات نجيب محفوظ إعجاباً من قبل الأدباء و النقاد و إقبالاً و تهافتاً من قبل هؤلاء القصة و الرواية،

فقد شهد له النّقاد و هو في مقتبل عمره و شبابه بأنه يحمل المقدرة الفائقة في كتابة الروايات و لديه موهبة مبدعة و خلاقة في فن القصص بكلّة أصنافها. و إن رواياته ليست أقلّ أهمية من الناحية الفنية من روايات توفيق الحكيم و يوسف السباعي و إحسان عبد القدوس، بل تفوق في بعض مزاياها و خصائصها.

وإن روايات نجيب محفوظ في رأي النّقاد تسجم مع الواقع الحياة و فيها واقعية العرض، و بساطة الحياة و دقة التحليل و تخلو من بعض ما يوجد في روايات توفيق الحكيم و غيره من عيوب فنية.

لقد ترجمت روايات نجيب محفوظ إلى اللغات الأجنبية العديدة مثل الإنكليزية و الفرنسية و الألمانية و الروسية و طفت شهرته كأديب بارع و روائي قد يرى إلى أن منح جائزة نوبل لـلـآدـاب و هو أولـ أـديـبـ عـربـيـ يتمـ إـختـيـارـهـ لـهـذـهـ الـجـائـزةـ العـالـمـيـةـ.

إنـ أـديـباـ كـيـراـ علىـ مـسـطـوـىـ نـجـيبـ مـحـفـوظـ،ـ وـ كـاتـباـ موـهـوـيـاـ فـرـضـ نـفـسـهـ عـلـىـ جـيـلـهـ فـيـ غـنـىـ عـنـ جـائـزةـ تـمـنـحـ مـنـ أـنـاسـ لـاـ يـعـرـفـونـ لـغـتـهـ وـ لـاـ يـسـتـطـعـونـ أـنـ يـزـنـواـ فـهـ وـ يـكـشـفـ الـغـمـوـضـ

حول دوافع الترشيح والإختيار، فأعتبر الذين يحبّون نجيب  
محفوظ حصوله على جائزة نobel دليل الإعتراف بمكانته ووسام  
الشرف له بينما حاول بعض منتقديه أن يجعلوا هذه الجائزة  
علامة إستفهام و دليل إدانة، وشككوا في دوافع إختياره، ولا  
يهمُنا ذلك لأننا نعرفه من خلال أعماله الأدبية لا من خلال  
الإعترافات والجوائز التي حصل عليها.

و مع إعترافاً بمكانته نجيب محفوظ الأدبية و دوره  
الرائد في تطوير فن الرواية و إثراء المكتبة الأدبية بروائع قصصه  
و نوادر رواياته لابد من أن نشير إلى بعض جوانب الخلل  
الفكري و المنهجي في أدب نجيب محفوظ لما للفن القصصي  
و الأدب الروائي من تأثير على الأجيال من الناحية الفكرية و  
السلوكية و يتلخّص إنتقادنا في النقاط التالية:

- ١ - في روايات نجيب محفوظ خلط غريب بين القيم الأصلية  
في المجتمع و القيم الوافدة الدخيلة بعيدة عن التقاليد  
العربية و من معاني العفة و الشهامة كما أن الإنفصام  
الشخصي واضح في أبطال نجيب محفوظ وشخصياتهم.
- ٢ - يركّز نجيب محفوظ في رواياته كثيراً على حياة الخونة و

الكذابين وأهل الشذوذ والإنحراف و البغایا و المؤسسات مع أن معظم روايات نجيب محفوظ تدور حول سكك القاهرة وأزقتها، والمجتمع المصري مجتمع محافظ بشكلٍ عام، وهذا الأسلوب يعطي إنطباعاً خطأً و يؤدي إلى تشويه سمعته و لو من غير قصد و ذلك بسبب تغلب عدد قليل من الساقطين على الكثرة الكاثرة من ذوي الإلْزان و الإلْزام. كما أن لهذا المنهج تأثيراً سلبياً على سلوك الشباب المتهاافت على القصص و الروايات.

-٣- لا يتضح من أعمال نجيب محفوظ الأدبية المنهج الفكري السليم أو الإتجاه الفكري الواضح و لعل لسلامه موسى و أمثاله من الأدباء المسيحيين الماديين تأثيراً في تكوين شخصية نجيب محفوظ الفكرية فهو يتارجح بين الرأسمالية و الماركسية في رأي بعض النقاد.

-٤- لا قيمة في روايات نجيب محفوظ للعقيدة أو القيم الدينية و المثل الأخلاقية، بل إنه لا يعطي أهمية كبيرة لنظام الزواج و تكوين الأسرة و توزيع المواريث و ما شابه ذلك من ثوابت أي مجتمع إسلامي.

٥- واجه نجيب محفوظ إنتقاداً شديداً على روايته "أولاد حارتنا" حيث استخدم فيها رموزاً تشير إلى ذات الله سبحانه و تسيئ إليه و إلى ملائكته و بعض رسالته كما فهمه بعض علماء الأزهر الشريف وأعلام الفكر والأدب في مصر و غيرها، فإذا كان نجيب محفوظ قد دل ذلك فعلاً، فلا شك أنها جريمة سقط بها في مهوى سقيق، "فلا يبقى نجياً" و لا يستحق مثل هذا الأدب الساقط أن يبقى "محفوظاً" للأجيال القادمة، ومن لم يتآدب مع الله فليس بأديب و على الأديب نجيب محفوظ وهو حيٌّ يُرزق أن يعلن صراحةً أنه لم يقصد ذلك أو آب إلى رشده، و الشيء الذي يبعث على الريبة أن لجنة جائزة نوبل ركزت على هذه الرواية في مسوغات منحه الجائزة مع أن هذه الرواية ليست أفضل ما كتبه نجيب محفوظ من روايات.

٦- يستخدم نجيب محفوظ في رواياته أحياناً ألفاظاً سوقية و كلمات و تعبيرات سقيمه نابية لا يقبلها الذوق السليم و لا يليق بكاتب كبير يعتبر رمزاً أدبياً، مثل:

يا ابن الأفعى، يا وغد...!  
و يقول على لسان أحد أبطاله: "ما أجمل أن أملك  
هذه الفيلا، و أنام فوق هذه الفتاة. إذا ركبها ركبت  
طبقة بأسرها".

هذه العبارة ينדי لها الجبين حياء، و كان بإمكان هذا  
الأديب الكبير الحائز على جائزة نوبيل أن يستخدم  
تعبيراً كائياً عما يريد أن يقوله بدل هذا الإسفاف و  
السقوط إلا إذا كان هدفه هو إثارة غرائز الجنس لدى  
الشباب.

هذه بعض الإشارات و يحتاج الموضوع إلى إعادة  
القراءة و غربلة ما في روایاته من سمّ على دسم.  
ولله الأمر من قبل و من بعد....!

## الفلكي الكبير و عقدة عاشوراء ربيع الأول

إن الفلكي الكبير السيد / صالح العجيري عقلية نادرة، وإن مهارته في الحساب و علوم الأفلاك والنجوم قد أصبحت مضرب المثل فله المرجعية في إعداد التقاويم وإليه ينظر فيما يتوقع أن يحدث بإذن الله تعالى من تغيرات في المناخ و من نقص أو زيادة في الحر أو البرد وفي المد والجزر ولكن كما يقول العرب: "لكل جواد كبوة و لكل صارم نبوة ولكل عالم هفوة".

إن الفلكي الكبير قد غفل عن بعض الحقائق الواضحة بسبب إغرائه في القياسات الحسائية مما جعله يعلن في التلفزيون أولا ثم في جريدة الوطن ثانيا أن هناك شيء اسمه "عاشوراء ربيع الأول" و ان النبي صلى الله عليه وسلم وال المسلمين صاموا في السنة الهجرية الأولى فيما سماه "عاشوراء ربيع الأول" فقد وقع الفلكي الكبير في لبس واضح ولم ينتبه للأمور التالية:

- لم يطلق أحد من علماء اللغة "عاشوراء" على غير العاشر من شهر المحرم يقول صاحب لسان العرب:  
(عاشوراء وعشوراء ممدودان : اليوم العاشر من المحرم و قيل: التاسع). (٥٦٩/٤)

وعاشوراء صفة الليل لا النهار وهو معدول عن: عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الأصل صفة الليلة العاشرة.

وزعم ابن دريد في الجمهرة انه اسم إسلامي لكن الواقع أن أهل الجاهلية أيضاً كانوا يصومون عاشوراء، وكون العاشر من المحرم يوم عاشوراء مذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين و من بعدهم، نص على ذلك الأئمة ابن القيم وابن حجر والعييني والزرقاني وغيرهم. "فعاشوراء ربيع الأول" أمر غريب و غير مأثور لغةً و شرعاً.

- الإشكال على الحديث ليس أمراً جديداً فقد وقع في مثل هذا الخطأ والاشتباه الفيلسوف الكبير والرياضي العملاق محمد بن أحمد الخوارزمي المعروف بأبي الريحان البيروني المتوفى ٤٠٤ هـ في كتابه الشهير:

"الآثار الباقية عن القرون الخالية".

يقول البيروني: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة رأى اليهود يصومون عاشوراء فسألهم عنه فأخبروه: انه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وآله و نجى موسى و من معه، فقال عليه السلام: "نحن أحق بموسى منهم" فقام و أمر أصحابه بصومه فلما فرض صوم شهر رمضان فلم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم".

يقول البيروني بعد نقل هذه الرواية: هذه رواية غير صحيحة لأن الامتحان يشهد عليها و ذلك لأن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من تموز سنة ثلاث و ثلاثين و تسعمائة لأسكتندر و يوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر و يكون صوم يوم عاشوراء في النصف الأول من ربيع الأول. مما ذكروه من اتفاقهما فهو محال على كل حال. (١)

وقد رد العلماء على هذا الإشكال فيقول الحافظ ابن حجر:

---

(١) الآثار الباقية من القرون الخالية : ص ٣٣١ - .

وقد استشكل ظاهر الخبر لاقتضائه أنه صلى الله عليه وسلم حين قدمه المدينة وجد اليهود صياما يوم عاشوراء وإنما قدم المدينة في ربيع الأول، والجواب عن ذلك أن المراد، ان أول علمه بذلك، وسؤاله عنه، كان بعد أن قدم المدينة، لا أنه قبل أن يقدمها، علم ذلك وغايته أن في الكلام حذفاً تقديره: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأقام إلى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياما. <sup>(١)</sup>

كما أن الإمام ابن القيم رحمه الله قام بدحض كافة الشبهات التي تشار حول الأحاديث الواردة عن صيام عاشوراء يقول في زاد المعاد:

وأنه لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوم عاشوراء<sup>\*</sup> فليس فيه أن يوم قدمه وجدهم يصومونه فإنه إنما قدم يوم الإثنين في ربيع الأول ثاني عشرة<sup>\*</sup> ولكن أول علمه بذلك بوقوع القصة في العام الثاني الذي كان بعد قدمه المدينة.

---

(١) فتح الباري : ٤ / ٢١٤ - ٢١٦ .

ولم يكن وهو بمكّة، هذا إن كان حساب أهل الكتاب  
 في صومه بالأشهر الهلالية وإن كان بالشمسية زال  
 الإشكال بالكلية و يكون اليوم الذي نجى الله فيه  
 موسى هو يوم عاشوراء من أول المحرم فضبطه أهل  
 الكتاب بالشهور الشمسية فوافق ذلك مقدم النبي صلى  
 الله عليه وسلم المدينة في ربيع الأول و صوم أهل  
 الكتاب إنما هو بحساب سير الشمس وصوم  
 المسلمين إنما هو بالشهر الهلالي وكذلك حجتهم و  
 جميع ما تعتبر له الأشهر من واجب أو مستحب . (١)  
 - من الواضح أن التقويم شمسيًا كان أو قمريًا قد تعرض  
 لتلاعب اليهود والمشركيين قبل مجيء الإسلام فلا  
 يمكن القول أن التقويم في تلك الفترة كان قطعياً بل  
 كان الأمر مبنياً على التقدير والتخمين بسبب الزيادة  
 في الشهور و من أجل ذلك نزلت الآية:  
 {إِنَّمَا النَّسِيُّءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا}  
 (التوبة : ٣٧)

---

(١) زاد المعاد : ٢ / ٦٩ - ٧٧ .

و قد استمر النسيء ف كانوا يحجون في بعض السنين  
في شهر و يحجون من قابل في شهر آخر.

قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا  
في ذي الحجة عامين و في المحرم عامين ثم حجوا  
في صفر عامين وكذلك في بقية الشهور فوافق حجة  
أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية  
(حسب نظام النسيء) من ذي القعدة ثم حج النبي  
صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع  
فوافق حجه شهر الحج المشرع و هو ذو الحجة، و  
وقف بعرفة لليوم التاسع و خطب اليوم العاشر بمنى، و  
أعلمهم أن أشهر النسيء قد تناست باستدارة الزمان،  
و عاد الأمر إلى ما وضع الله عليه حساب الأشهر يوم  
خلق السماوات والأرض و أمرهم بالمحافظة لئلا يبدل  
في مستانف الأيام. <sup>(١)</sup>

- و من ناحية أخرى تنص دائرة المعارف اليهودية أن  
عادات اليهود في الصيام كانت مختلفة فهناك أيام

---

(١) المظهي : ٤ / ١٨٥ - ١٨٦ .

مخصوصة يصومها بعض اليهود دون البعض أو تصومها فئة من اليهود دون الفئات الأخرى فلا يمكن إثبات شيء ما لم تظهر على ما كانت عليه عادة يهود المدينة في تلك الفترة.

- فالادعاء بأن صوم عاشوراء المذكور في الأحاديث الصحيحة هو نفس صوم العاشر من تשרي لدى اليهود الذي هو صوم يوم الكبور أو يوم الكفارة المشهورة عند اليهود<sup>٩</sup> مجرد افتراض لا تؤيده القراءن ونصوص التوراة الواضحة و ذلك لأن صوم يوم الكبور أو يوم الكفارة هو صوم الندم على المعصية و هو يوم حزن و ألم عند اليهود و ليس هو يوم فرح و سرور أو يوم النجاة من فرعون فلا يمكن أن يكون صوم يوم عاشوراء لأنه ورد في حديث صوم يوم عاشوراء "أنه يوم صالح نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم".

و يوم النجاة سمي في أكثر من موضع في التوراة "بأبيب" و هو الذي جرت تسميته "نيسان" فيما بعد.  
يقول البستانى في دائرة المعارف:

ABIB: كلمة عبرانية معناها أخضر و هو اسم الشهر الأول من السنة العبرانية و وضع اسمه موسى عليه السلام و هو يكاد يكون موافقاً لشهر نيسان (أبريل) و بعد أن سبى الإسرائيليون إلى بابل غيرروا اسم هذا الشهر و سموه "نيسان" أي شهر الزهور و في منتصفه كان عيد الفطور عندهم. (١)

و يقول البيروني:

- أما ما يتعلق بغرق فرعون و نجاة موسى عليه السلام و بنى إسرائيل فقد كان غرقه في الحادي والعشرين من نيسان وهو اليوم السابع من أيام الفطير فقد جاء في الاصحاح الرابع والثلاثين من التوراة:  
"تحفظ عيد الفطير سبع أيام تأكل فطيراً أمرتك في وقت شهر مبین لأنك في شهر أبييب خرجت من مصر".

و فيه أيضاً:

لأنه بيد قوية أخرجك ربك من مصر فتحفظ هذه

---

(١) دائرة المعارف : ٣٩١ / ٢ .

الفرضة في وقتها من سنة إلى سنة. <sup>(١)</sup>

يقول العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري:

والجواب عن ذلك: إن اليهود كانوا يحسبون بالشهور الشمسية والقمرية جميماً، فكان بعضهم جعلوا عاشوراء عاشر تشرين الأول بالشهور الشمسية فلعله صادف قدومه في الربع الأول يوم عاشورائهم في تشرين الأول <sup>٩</sup> ثم أمرهم بصيامه في عاشر المحرم في السنة المقبلة عملاً بأصل وضعه وحقيقة دون ما أحدثوا في تاريخه من التغيير بتحويل القمري إلى الشمسي.

و يقول: و يدل عليه حديث في معجم الطبراني أنه ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله الناس <sup>٩</sup> إنما كان تسترفيه الكعبة و كان يدور في السنة و كانوا يأتون فلاناً اليهودي ليحسب لهم فلما مات، أتوا زيد بن ثابت رضي الله عنه فسألوه. <sup>(٢)</sup> قال ابن حجر رحمه الله سنه حسن وقال: قال شيخنا الهيثمي في زوائد المسانيد: لا أدرى ما معنى هذا؟ قلت: ظفرت بمعناه في كتاب "الآثار القديمة" لأبي ريحان

---

(١) الأصحاح : ١٣ .

(٢) فيض الباري : ١٢٣ - ١٢٢ / ٣ .

**البيروني** فذكر ما حاصله: إن جهلة اليهود يعتمدون في صيامهم وأعيادهم حساب النجوم فالسنة عندهم شمسية لا هلالية فمن ثم احتاجوا إلى من يعرف الحساب ليعتمدوا عليه في ذلك. <sup>(١)</sup>

- فالحاصل أن "عاشراء ربيع الأول" مصطلح غير مقبول وان احتمال مصادفته وارد بسبب النسيء واعتماد أهل الكتاب على التقويم الشمسي كما أشار إليه ابن القيم وال Kashmiri.
- بسبب تلاعيب اليهود والمشركين في الجزيرة العربية بالتقويم الهلالي لا يمكن الاعتماد عليه في تلك الفترة للتشكيك الحديث النبوي الشريف أو توجيهه بما لا يرضي به القائل.
- المخالفة مع اليهود التي أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم تتحقق بصوم اليوم التاسع من المحرم مع العاشر وليس بنقل الصوم من شهر إلى شهر آخر كما ذهب إليه السيد العجيري لأن قول الرسول صلى الله

---

(١) فتح الباري : ٤٣٨/٥

عليه وسلم في ذلك واضح.

- صوم عاشوراء عند اليهود ليس هو صوم يوم الكفر بل هو صوم "أيوب" يوم النجاة من فرعون كما تدل عليه نصوص التوراة.
- الأحكام المرتبطة زمان محدد تكون توقيفية لا يملك صحابي أو غيره أن يغيّرها أو ينقلها من وقت إلى آخر.
- فالعاشر من المحرم هو يوم صوم عاشوراء من الأساس لم يطرأ عليه أي تغيير، الأمر الوحيد الذي تم هو إلغاء النسيء و تصحیح و تثبیت التقویم الهلالي على ما كان عليه في أصل الخلقة. والله ولي التوفيق،،،

\*\*\*

## تحقيق كتاب الأبواب والترجم للعلامة المحدث الكاندھلوي

لم يدرك أحد شأو الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في الحديث وعلوم السنة النبوية الشريفة، فهو أمير المؤمنين في الحديث بلا منازع، وكتابه هو أصح الكتب على أديم الأرض بعد كتاب الله سبحانه وتعالى، وإن الجامع الصحيح للبخاري ليس هو كتاب يجمع بين دفتيه مجموعة من الأحاديث النبوية الصحيحة فحسب بل هو مرجع علمي منهجي دقيق يرشد إلى ضوابط قبول الرواية ورفضها، وشروط تحديد مراتب الصحة للوصول إلى أعلى درجات الصحيح ويمكن استخراج كل ذلك من ثنايا الكتاب وتتبع طريقة البخاري في إيراد المتابعات وحرصه على انتقاء أعلى أنواع الصحيح وابتعاده عن المعنون من الروايات إلا بشرط اللقاء.

كما أنه كتاب استنباط واستخراج وكتاب تفقيه وتشريف يوصل الإنسان إلى أعماق السنة بطريقة جديدة ومبتكرة وذلك

من خلال ترجمم أبوابه والعناوين التي اختارها لكل باب وما أورد فيها من آيات وآثار وروايات وتعليقات فقيل حقا: "إن فقه البخاري في ترجمته".

فلم يكتفى الإمام البخاري على توزيع الأحاديث على أبواب الإيمان والعلم والعبادات والمناقب والغزوات والأدب والدعوات أو الرد على أهل الاعوجاج والانحراف كما هو شأن كتب الجوامع من كتب السنة المدونة عموما، بل إنه في كثير من الأحيان يقطع الأحاديث تقطعاً ويزعها على أبواب مختلفة ويضع لكل جزء ترجمة مستقلة، ف الحديث واحد أورده في كتابه ٢٢ مرة وحديث آخر إحدى عشرة مرة أو عشر مرات وكل ذلك من أجل استنباط الأحكام واستخراج المسائل والفوائد العلمية من الروايات التي أخرجها.

وهكذا بلغ عدد ترجم الأبواب نحو ثلاثة آلاف وثمانمائة وتسعمائتين ترجمة أو يزيد مع اختلاف النسخ.

هذه الأبواب والتراجم قد حيرت العقول وأدهشت الأفكار والأبصار كما يقول الإمام ابن حجر رحمة الله وظلت على مر العصور موضع تسابق بين أعلام المحدثين في شرحها وتوجيهها

وربطها بأحاديث الباب وبيان مقاصد البخاري منها، وقد أدرك من أدرك وفهم من فهم واستعنت منها الكثير على بعض العقول وخفيت على بعض شراح الصحيح.

يقول الإمام النووي رحمه الله: ليس مقصود البخاري رحمه الله الاقتصار على الأحاديث فقط بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها.

ويقول الإمام ولی الله بن عبد الرحيم الدھلوي:

"وكثيرا ما يستخرج الآداب المفهومة بالعقل من الكتاب والسنة والعادات الكائنة في زمانه صلی الله علیه وسلم ومثل هذا لا يدرك حسنه إلا من مارس كتب الآداب وأجال عقله في ميدان آداب قوم تم طلب لها أصلا من السنة".

وقد أفرد بعض المحدثين بتأليف كتب في شرح تراجم أبواب البخاري وعلى رأسهم الإمام ناصر الدين ابن المنير وأخوه زین الدين بن المنیر، والسلجوماسي، والسبتي والدماميني، والبلقيني، إضافة إلى ما جاء في شروح الجامع مثل فتح الباري، والعیني، والقسطلاني، والكرمانی من نکات وإيضاحات ولكن لم يتمكن أحد من إيفاء حقها وإبراز كافة معانیها وأسرارها.

ولعل أجمع واسع كتاب في شرح الأبواب والترجمات هو  
كتابنا هذا كتاب العالمة المحدث الشيخ محمد زكريا  
الكاندھلوي المتوفى ١٤٠٢ هـ.

وإن كان سبقه في ذلك من علماء الهند الإمام الشاه ولی  
الله الدھلوي وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي المتوفى  
١٣٣٩ هـ والشيخ المحدث فخر الدين أحمد وغيرهم لكنهم لم  
يتمكنوا من الاستيعاب والإحاطة.

ويعتبر عمل الشيخ محمد زكريا الکاندھلوي برهاناً جديداً  
على ما كتبه العالمة رشيد رضا المصري منشئ مجلة "المنار"  
في مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة قائلاً:

"ولولا عنابة إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا  
العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في  
مصر والشام والعراق والحجاج منذ القرن العاشر للهجرة حتى  
بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر" (١).

كتاب الأبواب والترجمات للعالمة المحدث محمد زكريا  
الکاندھلوي موسوعة شاملة تحتوي على ما كتبه السابقون مع

---

(١) مقدمة مفتاح كنوز السنة ١، ي، فنسنک الطبعة العربية من ترجمة محمد  
فؤاد عبد الباقي.

زيادة من عالم قضى نحو أربعين عاما في تدريس صحيح الإمام البخاري، وأطلق عليه لقب "شيخ الحديث" وله خبرة طويلة في خدمة السنة النبوية الشريفة فهو مدون لامع الدراري في شرح جامع البخاري مؤلف كتاب "أوجز السالك إلى موطن الإمام مالك"، وله التعليقات على "الكوكب الدرري في شرح سنن الترمذى" من أمالى العلامة المحدث الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى وله عشرات من الكتب، والأجزاء في علم الحديث النبوى الشريف مثل جزء صلاة الخوف، جزء الاختلاف في العبادات وكتاب حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم.

إن كتاب الأبواب والترجم ينطبق عليه المثل السائر "كل الصيد في جوف الفرا" ، فهو بمثابة شرح وجيز لصحيح الإمام البخاري، يشرح غريب الحديث ويبيّن الخلافات ويتميز الكتاب بالأصول السبعين التي استخرجها الشيخ الكاندھلوی من خلال قراءاته وتبعاته لصنيع الإمام البخاري في وضع تراجم الأبواب، ولم يسبق أحد الشيخ الكاندھلوی إلى تحديد هذه الأصول وبهذه الدقة والاستيعاب فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه خيرا.

وكان الكتاب في حاجة ماسة إلى الاعتناء به وتحقيقه  
وإخراجه وطباعته طباعة عصرية فاخرة ليكون بين يدي أهل  
العلم في البلاد العربية والإسلامية.

وقد قيض الله سبحانه له القيام بهذا العمل النافع أخانا العزيز  
الأستاذ رحمة الله الندوى وفقه الله الذي يتمتع بخبرة جيدة في  
إحياء العديد من كتب التراث وتحريج الأحاديث وترجمة بعض  
الكتب العلمية النافعة إلى اللغة العربية فهو باحث قدير وشاب  
طموح، وقد ألقى في مقدمته ضوءاً حافلاً على أهمية الكتاب  
ومنهجه في التحقيق مع التعريف بالكتب السابقة واللاحقة في  
الموضوع.

أسأل الله العلي القدير أن يجزيه خيراً وينفع بالكتاب  
العاملين في خدمة السنة النبوية الشريفة والمهتمين ب الصحيح  
الإمام البخاري. والله ولي التوفيق،،

\* \* \*

## ورقة مقدمة إلى

(اجتماع الهيئة الاستشارية لمركز التميز البحثي في فقه القضايا  
المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض)

الحمد لله رب العلمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين  
محمد وآلها وصحبه أجمعين وبعد:

السادة الأكارم، أصحاب المعالي والفضيلة، الفقهاء الكرام  
والمشايخ الأعلام، المشروfon على مركز التميز البحثي في فقه  
القضايا المعاصرة، من المسؤولين والأعضاء لقد وفقنا الله  
سبحانه لأن نجتمع اليوم في رحاب هذه الجامعة العريقة جامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المتميزة على مثيلاتها،  
العملاقة في أعمالها وإنجازاتها التي يفتخر بالانتماء إليها آلاف  
مؤلفة من خريجها والمتسببن إليها والمستفيدون من المعاهد  
التابعة لها في قارات العالم المختلفة لما لها من دور بناء  
ومشرق في تخرج أفواج من العلماء البارزين، والفقهاء النابهين  
بفضل من الله وتوفيقه ودعم من حكومة المملكة العربية  
السعودية السباقة في نشر العلم ودعم كل ما فيه خير للإسلام

وال المسلمين .

إنني لأشعر اليوم ببالغ السعادة على أن أكون بينكم في  
رحاب هذا الصرح العلمي العظيم وأتشرف بهذا اللقاء المبارك  
إن شاء الله مع هذه الكوكبة المنية المتميزة النخبة من العلماء  
والأساتذة الأفاضل الذين لهم قدم صدق في الفقه والأصول  
ولهم نظرة دقيقة في قضايا ونوازل العصر، وهم يتمتعون بفهم  
ثاقب وقدرة فائقة على ربط الواقع بالنصوص وتزيل أحكام  
النصوص على تلك التوازن، وهذا يوجب عليّ أنأشكر سعادة  
رئيس المركز العالمة الأصولي الفقيه الأستاذ الدكتور عبد العزيز  
الريبيعة ومدير مركز التميز الباحثي فضيلة الأستاذ النابغة العالم  
الأصولي الدرّاكه الدكتور عياض بن نامي السلمي حفظه الله  
"بعد شكر الله سبحانه" على إتاحة هذه الفرصة لي كما أشكر  
معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور سليمان أبا الخيل المعروف  
بعد نظره وثاقب فكره وحسن خطابه وكمال حكمته، عليّ قبوله  
وموافقته على تمثيل مجمع الفقه الإسلامي بالهند في المركز  
وانضمامي إلى هذه النخبة من الفقهاء أعضاء الهيئة الاستشارية  
لمركز التميز الباحثي، أسأل الله العلي القدير أن يوفقني

للاستفادة والاستنارة من هذه البيئة الفقهية ولأداء الدور المطلوب مني هنا وهناك وأن يكون التعاون بين مركز التميز البحثي وبين مجمع الفقه الإسلامي بالهند مثمرا ونافعا في حل القضايا الفقهية المعاصرة وتدريب مجموعه من الفقهاء الشباب  
والله ولي التوفيق،،،

إن الرغبة في تحقيق التميز وبلغ الغاية في اتقان العمل مطلوب شرعا وعقلا ويمكن أن يستلهم ذلك من حث النبي صلى الله عليه وسلم على إحسان العمل وإتقانه، وكذلك من إشارته صلى الله عليه وسلم إلى جوانب البراعة والتفوق في بعض أصحابه بسبب تميزهم في بعض الصفات والخصائص التي كانوا يتمتعون بها على غيرهم من زملائهم وأقرانهم ويتجلى ذلك في ما أطلقه صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه من ألقاب مثل: أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وكقوله صلى الله عليه وسلم: أقضاهم علي، وإن خالد بن الوليد هو سيف الله المسلط، فوصفهم بهذه الألقاب يدل على تميز هؤلاء في تلك الأوصاف من الأمانة والشجاعة وفهم دقائق الأمور إلا فقد كان جميع

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، شركاء في أصل تلك الصفات وقد تم توظيف طاقاتهم ومهاراتهم في مجالات مختلفة كما تم توزيع المهام عليهم حسب الكفاءات والصفات المميزة لكل واحد منهم وهذا يدل على أن مثل هذا التميز ينبغي أن يكون هدفاً مشروعاً بل وغاية مطلوبة وأن يكون التميز هو الأساس لإسناد المناصب والمعيار للتكليف بأداء المهام ومن المعروف أن الإبل المائة لا يمكن أن تكون كلها راحلة.

فما يقوم به مركز التميز البحثي في مجال فقه القضايا المعاصرة أمر مهم للغاية في ضوء الأهداف التي حددتها القائمون عليه وأن المنهج الذي يسير عليه يضمن له النجاح بتوفيق الله سبحانه وهو يستحق التقدير والتنويم على ما حقق من إنجازات سواء كان في مجال إعداد الأبحاث والدراسات، وعقد الندوات والمحاضرات، وقد قام وفد مركز التميز البحثي مكون من كل من سعادة مدير المركز وسعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم الميمين حفظهما الله كلاً من الهند ومالزريا من أجل التنسيق والتعاون مع المجامع والمؤسسات ذات الاختصاص، وكان لمجمع الفقه الإسلامي بالهند شرف استقبال الوفد وكان

لي شرف توقيع اتفاقية التعاون مع المركز من قبل وأعيد توثيقها في الهند.

ونعرف جميعاً أن هناك العديد من المجامع الفقهية وكذلك المراكز والمؤسسات البحثية تعمل لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة والبحث عن حلولها ومن أبرزها:

- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

- مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي.

- مجمع الفقه الإسلامي بالهند.

- مجمع الفقه الإسلامي في السودان.

إضافة إلى:

- المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بدولة الكويت.

- المجلس الأوروبي للإفتاء.

- مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا الشمالية.

كما أن هناك جهات رسمية وغير رسمية ومؤسسات فقهية

لا تقتصر أعمالها على حل القضايا الفقهية المعاصرة فقط لكن

بعضها منها تقوم بدور متميز في هذا المجال ولإيصال وزنها عن المجامع الفقهية المعهودة بل قد تزيد أهمية وتأثيراً، وعلى رأسها هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية قامت بدراسات وأبحاث وأصدرت فتاوى وقرارات ساهمت في حل العديد من قضايا معاصرة شائكة ومهم كذلك لا يمكن إنكار دور مؤسسة دلة البركة في جده وهيئة المحاسبة والمراجعة في البحرين سواء كان من خلال عقد الندوات السنوية أو إصدار المعايير الشرعية في تقديم الحلول لبعض القضايا الاقتصادية ودراسة ومناقشة الكثير من المسائل المستحدثة في مجال الصيرفة والتمويل.

كل هذه الجهود تستحق التقدير والتنويه لكن الشيء الذي يلاحظ هو أن عمل كل هذه المؤسسات الفقهية يتم دون أدنى تنسيق بينها أو اتفاق على منهجية معينة في اختيار وتحديد أو تناول الموضوعات للدراسة والمناقشة وهذا يؤدي إلى تكرار الجهد حيناً وإلى تضارب القرارات في كثير من الأحيان كما أن الاستفادة من الدراسات والقرارات تقتصر على الباحثين وكتاب الرسائل العلمية لمراحل الدراسات العليا شأنها شأن كثير من

الندوات والمؤتمرات التي تعقد هنا وهناك وتبقي قراراتها وأبحاثها حبيسة إدراج الأرشيف دون أن تأخذ مكانها من الاعتماد والتنفيذ.

ومن هنا تزداد أهمية مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بأنه أول مركز بحثي يتم إنشاءه في العلوم الشرعية في جامعة إسلامية ويقوم بأداء دور مكمل للمجامع الفقهية بل وبأداء دور رائد في تمويل الأبحاث المنهجية في فقه القضايا المعاصرة واختيار موضوعات ذات صلة بالحياة اليومية في عصر العولمة وطغيان التقنيات الحديثة تشمل جوانب العبادة والمجتمع والسياسة والمعاملات والآداب وهذا ما يميشه بين كافة المؤسسات والمجامع الفقهية، وإن المتابع لسير أعمال الندوات والمؤتمرات الفقهية وما تقدمه القنوات الفضائية يشعر بحاجة شديدة وأكيدة إلى التركيز على الجوانب التالية:

- إيجاد منهاجية واضحة ووضع ضوابط دقيقة ومحددة لتناول القضايا الفقهية المعاصرة.
- تقديم مجموعة من بحوث متميزة نموذجية تكون رائداً للفقهاء والباحثين في القضايا الفقهية المعاصرة.

- دراسة وتقييم قرارات المجامع الفقهية وعرض التعدديل مع اقتراح البديل من الصيغ المناسبة تكون أكثر دقة وموضوعية وطرح الموضوعات الجديدة.
- إعداد وإصدار موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة.
- إصدار دليل شامل عن كافة قضايا مستجدة وما تم عنها من دراسات وكتب حولها من أبحاث وما صدر عنها من قرارات.
- تصحيح مسارات الجهات والأشخاص الذين يتصدرون للإفتاء وذلك للقضاء على ظاهرة الآراء الشاذة والفتاوی الخارجیة عن المنهج وذلك من خلال بيان خطورة الفتوى وضرورة تجنب الأمة من الفتنة وتوعية الناس بأنه ليس كل شيء يلمع ذهبا وليس كل مفكر فقيها وليس كل من يحمل شهادة شرعية مخولا للإفتاء في القضايا الدقيقة والحساسة.
- إن وجود مركز التميز البحثي في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المعروفة بعنایتها منذ أكثر من خمسين عاما بالفقه الإسلامي تدریسا وتحقيقا وتأصیلا

وتأهيلًا وتخريجاً للفقهاء وضمن المؤسسات التابعة لها يعطيه قوة وامتيازاً لأن الجامعة محضن طبيعي للدراسات والأبحاث وفيها موهب وطاقات جديدة ودماء متتجدة من الباحثين الشباب الذين يمكن توجيه الكثير منهم للعمل بروح الإبداع والابتكار تحت إشراف الأساتذة الكبار القادرين على التأصيل والتأهيل.

أما ما يتعلق في تحديد سبل و مجالات التعاون بين المراكز والجامع الفقهية فهي متعددة منها:

- عقد ندوات وحلقات نقاشية مشتركة بينها بالتعاون مع المركز.
- المشاركة في اللجان العلمية للمجامع الفقهية في اختيار الموضوعات وتحديد الأولويات.
- تبادل الخبرات والأبحاث وتبادل التمثيل في الندوات والمؤتمرات.

أما عناوين الندوات والمقترنات للعام القادم فهي:  
• ضوابط الاستدلال بالمقاصد والمصالح والاجتهاد بتحقيق المناطق.

- ضوابط التفريق بين الموالاة والمداراة والمؤاساة مع غير المسلمين.
- تأصيل فقه السياسة الشرعية في ضوء المعطيات الراهنة.
- وضع معلم فقه الأقليات المسلمة تساعده في المحافظة على التميز مع الاندماج والتعايش السلمي من غير الذوبان وفقد الهوية الدينية.

هذه هي بعض أفكار ومقترنات وما أراه من موضوعات ذات أهمية في نظري لوقوع كثير من اللغط حولها بين المهتمين بالقضايا الفقهية المعاصرة وعدم وضوح الرؤية عنها لدى العديد من البارزين من الفقهاء المعاصرين بل وخروج بعض مجالس الإفتاء عن النهج السليم في تقدير الضرورة واستخدام ضوابط المصالح والمقاصد ولعل مركز التميز الباحثي يحل جزءاً من المشكلة من خلال مؤتمر المجمع عقده في إسبانيا حول مسائل الأقليات.

وأخيراً أكرر عظيم امتناني وشكري لكم وبالغ تقديري لجهودكم وأتمنى للمركز مزيداً من النجاح في تحقيق أهدافه المنشودة وللجامعة مزيداً من التطور والازدهار وللمملكة دوام

الأمن والرخاء في ظل قيادتها الرشيدة والحكيمة وصلى الله على  
خير خلقه محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

## تجربة عملية فريدة

ولما كانت ولاية غير المسلم على المسلم مرفوضة فما هو الحل لقضايا المسلمين الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية كأقليات مسلمة؟ وكيف يمكن أن يحافظوا على كيانهم ويعيشوا كمسلمين وحياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلها خاضعة لأحكام القوانين الوضعية أو أحكام شركية تتنافى مع أحكام الإسلام تماماً؟ وللولاية سواء كانت عامة أو خاصة كلها بأيدي غير المسلمين؟.

وهم مضطرون إلى أن يمارسوا عقود الزواج والطلاق ويدبروا أمور الوقف ويوزعوا المواريث في ظل الأحكام غير الشرعية وتحت ولاية غير المسلمين من الحكم؟  
فما هو السبيل إذن لأن يعيش هذا العدد الهائل من المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية ومعظم دول العالم يحكمها الكفار والمشركون أو اليهود والنصارى أو يحكمها ملحدون وشيوعيون وأمثالهم؟

وَكِيفَ يُمْكِن لِهُؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْيَا فِي ظِلِّ الْأَحْکَامِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ حَتَّىٰ فِي حَدُودِ أَحْکَامِ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ أَوِ الْقَوَافِينِ  
الْخَاصَّةِ بِالْحَيَاةِ الْعَائِلِيَّةِ؟ مَعَ أَنِّي إِهْمَالُهَا وَالتَّغَافُلُ عَنْهَا يَؤْدِي إِلَى  
ذُوبَانِ كِيَانِ الْمُسْلِمِينَ وَفَقْدَانِ شَخْصِيَّتِهِمْ وَضَيَاعِ أُولَادِهِمْ  
وَأَبْنَائِهِمْ بَيْنَ الشَّفَافَةِ الْوَثَبِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الشَّرْكِيَّةِ الطَّاغِيَّةِ أَوِ الإِلْحَادِ  
وَالشَّيْوُعِيَّةِ وَمَبَادِئِ الإِبَاحَةِ.

أَمَا الْأَسْئَلَةُ وَالْاسْتَفْتَاءُاتُ الَّتِي تَوَجَّهُ إِلَى مَرَاكِزِ الْإِفَاءِ  
حَوْلَ هَذِهِ الْمُعْضُلَةِ لِإِخْرَاجِ حَيَاةِ كَثِيرٍ مِّنِ الْبَنَاتِ الْمُسْلِمَاتِ  
الْمُوْجُودَاتِ فِي تِلْكُ الْبَلَادِ مِنِ الْمُشَائِكِلِ الْعَائِلِيَّةِ النَّاتِجَةِ مِنِ  
ظُلْمِ الْأَزْوَاجِ أَحْيَانًا وَمِنْ سُوءِ تَصْرِيفَاتِ السُّلْطَاتِ الْقَائِمَةِ أَحْيَانًا  
أُخْرَى وَمَا يَصْدُرُ عَنْهَا مِنْ إِجَابَاتٍ وَرَدُودٍ تَؤَكِّدُ أَنَّ الْمُشَكَّلَةَ  
مَا زَالَتْ قَائِمَةً وَلَا تَوَجُّدُ لَهَا حَلُولٌ جَذِيرَةٌ تَنْقِذُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
مَعَانِيَهُمْ وَتَنْظِيمُهُمْ أَسَالِيبَ حَيَاةِهِمْ وَالْعَمَلُ عَلَيْهَا لَيْسَ سَهْلاً  
مِيسُوراً مِعَ الْبَقاءِ فِي بَلَادِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْظَمُ تِلْكُ الرَّدُودِ  
تَكُونُ ذَاتَ طَابِعٍ فَرْدِيٍّ تَنْطِبِقُ عَلَى بَعْضِ الْحَالَاتِ وَلَا تَنْطِبِقُ  
عَلَى حَالَاتٍ أُخْرَى.

وَنَظَرًا إِلَى ذَلِكَ لَا نَرَى بِأَسَا أَنْ نَقْدِمُ تَجْرِيَةً تَكَادُ تَكُونُ

فريدة في حل مشكلات المسلمين العائلية وخاصة الأقليات المقيمة في دول غير إسلامية ذات عدد كبير وكثافة سكانية واسعة، وأرى أن تعميمها والاحتذاء بحذوها تساعدها في الحفاظ على شخصية المسلمين وكيانهم من التلاشي والذوبان. ويوجد لهذه التجربة العملية الطويلة تزيد نحو تسعين عاماً سند فقهياً وشرعياً قوياً والذي أقصد من هذه التجربة الفريدة من نوعها هي تجربة منظمة "إمارة الشرعية" في الهند منذ أكثر من سبعين عاماً وهي تعمل بنشاط تحت إشراف كبار الفقهاء وأعلام المسلمين.

هذه التجربة عبارة عن اختيار شخص من المسلمين كأمير لهم يكون دوره دور "شيخ الإسلام" بالمعنى الدقيق وقوته تكون مستمدة من اختياره من قبل الوجاهة وأرباب الحل والعقد أو قاعدة عريضة من المسلمين وبعد اختياره وإقراره على هذا المنصب يكون دوره تنظيم شئون المسلمين بعيداً عن السياسيات السياسية مع دولة قائمة غير مسلمة ومن غير إثارتها في ما يخص بالأمن الداخلي للبلد أو الأمور التي تتعلق بالقوانين المدنية العامة أو القوانين الجنائية حسب دستور البلد

بل يكون دور الأمير المنتخب هو الحفاظ على هوية المسلمين المدنية وعدم السماح لأجهزة الحكومة بالتدخل في قضايا الأحوال الشخصية أو قوانين الأسرة والحياة العائلية للمسلمين فهو بعد توليه هذا المنصب يكون مخولاً لتعيين القضاة وقد يجد مجالاً أيضاً من خلال هذا النظام لفصل الخصومات وفك النزاعات بين المسلمين في غير الأحوال الشخصية على أسلوب التحكيم من غير اللجوء إلى المحاكم المدنية.

والقضاة المعينون هم يتولون أساساً حل القضايا العائلية من نكاح وفسخ وطلاق وتفریق بين الزوجين في حالة توفر الشروط ووفق المعايير الفقهية الدقيقة، وإجراءات القضايا تتم على نفس طريقة المحاكم المدنية وهي تكون شبه مجانية أو أقل تكلفة من المحاكم مما يشجع المسلمين إلى اللجوء إليها بالإضافة إلى بث الوعي وتحث المسلمين على تأسيس حياتهم العائلية والشخصية على أسس شرعية والابتعاد عن القوانين الوضعية والشرعية في كل ما يخص بالنكاح والطلاق والمواريث والأوقاف ويقوم الأمير أو رئيس المنظمة من إنشاء بيت المال لجمع أموال الزكاة وصرفها في مصارفها بأسلوب شرعي سليم،

وقد حقق هذا النوع من التنظيم الداخلي لحياة المسلمين  
نجاحاً باهراً في ولاية بيهار وأريساً بالهند حتى إن الحكومة  
غير المسلمة اضطرت إلى الاعتراف بأحكام القضاة المسلمين  
المعينين من قبل الإمارة الشرعية واحترامها لما لها من مكانة  
دينية في قلوب المسلمين.

أما السنن الشرعي لمثل هذا النظام فإلى جانب ما جاء من  
الأحاديث والآثار العامة التي تحت المسلمين على تنظيم  
حياتهم و اختيار أمير لهم حتى لو كانوا ثلاثة أشخاص في السفر  
و هناك أمور كثيرة من إقامة الجمعة والأعياد يحتاج المسلمين  
فيها إلى من يشرف عليهم وينظم أمورهم فقد جاء في كتب  
الفقهاء نصوص كثيرة تؤيد إقامة مثل هذا النظام.

يقول العالمة الفقيه ابن عابدين الشامي:  
(إذا كان) الولاة كفاراً يجوز للMuslimين إقامة الجمعة  
والأعياد ويصير القاضي قاضياً بتراضي المسلمين ويجب عليهم  
أن يتمسوا والياً مسلماً.

ويقول الإمام المحقق الكمال ابن الهمام في كتابه فتح

القدير:

وإذا لم يكن سلطان ولا من يجوز التقليد منه كما هو في بعض بلاد المسلمين غالب عليهم الكفار كقرطبة في بلاد المغرب وبلنسية وببلاد الحبشة واقروا المسلمين عندهم على ما يؤخذ منهم يجب عليهم أن يتلقوا على واحد منهم يجعلونه واليا فيولى قاضيا أو يكون هو الذي يقضي بينهم.<sup>(١)</sup>

وقد تكررت عبارة يصير "القاضي قاضيا بترافي  
المسلمين" في الكتب الفقهية وهذا أمر غفلت عنه كثير من الأقليات فلم يبق لها كيان واضطرت إلى أن يعيش حياة الذل والهوان لذا يناسب اتخاذ نظام شبيه "بالممارسة الشرعية"  
واعتماده بعد الزيارة الميدانية لها والإطلاع على نظام تدريب القضاة لديها . وقد كان الشيخ الفقيه الراحل مجاهد الإسلام  
القاسي أحد أبرز القضاة ضمن هذا النظام وقد نفع كثيرا  
بتوفيق الله هو والشيخ الراحل منة الله الرحماني في المحافظة  
على الكيان الإسلامي في الهند والدفاع عن قوانين الأحوال  
الشخصية للمسلمين.

وقد أراد مسلمو أفريقيا الجنوبية بعد القضاء على النظام

---

(١) فتح الديار ٣٦٥/٦.

العنصري الاستفادة من هذا النظام وتم تدوين الدستور الإسلامي  
الخاص بقوانين الأحوال الشخصية لهم وعرض على الحكومة  
لاعتماده كدستور خاص للمسلمين في قوانين الحياة العائلية  
وكل ما يتعلق بالطلاق والتفريق بين الزوجين حسب الأحكام  
الشرعية وهي مدونة ومرتبة ومطبقة.

ولا يقتصر تصريحات الفقهاء على مذهب دون مذهب بل  
توجد نصوص فقهية صريحة في كتب المذاهب عموماً.

وقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية خلاصة المذاهب  
الفقهية الأربع المعروفة عن حالة فراغ البلد من إمام أو خليفة  
المسلمين أو غلبة واستيلاء الكفار على بلد من بلاد المسلمين  
نقاً عن كتب المذاهب المعتمدة أنه يمكن في هذه الحالة  
تعيين القضاة لفصل الخصومات وتنظيم شؤون المسلمين وهي  
بإيجاز ما يلي:

إذا لم يكن سلطان ولا من يجوز التقليد منه ، أو تعذر  
الوصول إليه فقد اختلف الفقهاء في ذلك.

فذهب الحنفية إلى أنه يجب على أهل البلد أن يتلقوا على  
واحد منهم يجعلونه واليا فيولى قاضيا أو يكون هو الذي يقضي

بينهم.

و يرى المالكية أنه إذا تعذر وجود الإمام أو الاتصال به ، يتم عقد التولية من ذوي الرأي وأهل العلم والمعرفة والعدالة لرجل منهم كملت فيه شروط القضاة ويكون عقدهم نيابة عنه للضرورة الداعية إليه ويقول الشافعية: "ويكون تقليد القاضي جائزًا إذا اجتمع على التقليد جميع أهل الاختيار منهم وأمكنهم نصره وتقوية يده إذا لم يمكنهم التحاكم إلى غيره".

وذهب الحنابلة إلى أنه إذا خلا البلد من قاض فاجتمع أهل البلد وقلدوا قاضيا عليهم فإن كان الإمام مفقوداً صح ونفذت أحكامه عليهم وإن كان موجوداً لم يصح.<sup>(١)</sup>

وتعطي هذه النصوص الفقهية مخرجاً للمسلمين الذين يعيشون كأقليات مسلمة لممارسة حكمهم الشرعي والاتفاق على "مسؤول ديني" يسمى أميراً أو شيخ الإسلام أو والياً على المسلمين وتنظيم القضاة على غرار تعيين الدعاة للولايات

---

(١) فتح الديير ٤٦١/٥ ورد المختار ٣٦٩/٥ و روضة القضاء ٦/١ و تبصرة الحكم ٢١/١ وأدب القاضي للماوردي ١٢٩١٤١/١ (ط بغداد)  
بحذف وتلخيص من الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٣/٢٩٦ - ٢٩٧).

(٢) يراجع المغني ١٠٦/٩ وكتشاف القناع ٦/٢٨٨ .

المختلفة تكون لها السلطة في حدود الأحوال الشخصية من غير أن تكون له سلطة عليا في كافة الأمور.

ويمكن تعيين أكثر من قاض أو مسئول في بلد واحد إذا دعت الحاجة إلى ذلك. تنص كتب فقهاء الحنابلة على ذلك وتقول:

و إن كان للبلدجانبان فرضي بتقليله (القاضي) أحد الجانبين دون الآخر صح تقليله في ذلك الجانب وبطل في الجانب الآخر لأن تميز الجانبين كتميز البلدين فإذا صحت ولائيه نفذت أحکامه ولزمت طوعاً وجبراً لانعقاد ولائيه.

فلا شك أن الأقليات المسلمة تعيش حالة الفوضي وعدم الانضباط في الحصول على الحكم الشرعي ومعظم المراكز والمجالس الإسلامية في الخارج هي مراكز دعوية - ومع تقديرني لأعمال تلك المراكز والمجالس - هي تكاد تخلو من الفقهاء في الدين وإذا وجدوا فلا يملكون إلا الرد على اسئلة المستفتين في القضايا العامة بينما تزيد معاناة المسلمين من الأقليات في البحث عن المرجعية في قضايا الفسخ والتفريق بين الزوجين وما شابه ذلك لذا نقترح ما يلي:

توجيه الأقليات المسلمة إلى الاهتمام بتنظيم شؤونها واختيار شخصية دينية ذات بصيرة في الشريعة كمسئول عن أمورها العامة وهو يقوم بتعيين قاض أو قضاة حسب الضرورة وفق نصوص الفقهاء التي ذكرت من كتب المذاهب الفقهية الأربع.

الاستفادة من تجربة الإمارة الشرعية المطبقة في بعض ولايات الهند في التطبيق العملي لتعيين القضاة وفصل القضايا والخصومات في القدر المتاح من الحرفيات في البلاد المختلفة. وليست هذه شهادتي فقط بل يقول الدكتور محمد رواس قلعه جي الفقيه المعروف وصاحب الموسوعات الشهيرة: ولقد شهدت في بلاد الهند تجربة الإمارة الشرعية وهي أشبه ما تكون بدولة إسلامية ضمن الدولة الهندية غير المسلمة، ولها قصاصاتها الشرعية الذين يحكمون بشرع الله، ولكن ليست لها سلطة الإجبار على تنفيذ الأحكام ، يقول القاضي مجاهد الإسلام الفاسي:

"في عهد المغول كان نظام القضاء الإسلامي قائماً في الهند، ولكن الإنجليز حاولوا القضاء عليه تدريجياً، يقول دبليو

دبليو هنتر في كتابه المسلمين في الهند: بناء على قانون مجلس التشريع حرم المسلمين من ولادة وقضاة يقومون بشؤونهم الدينية وتطبيق الأحوال الشخصية عليهم، وفي الحكومة الإسلامية كان من واجبات القاضي القيام بأداء مسؤوليات المحكمة الشرعية والمدنية والجنائية، إن المسلمين يشكرون أننا سلبنا منهم الوسائل التي كانوا يؤدون بها فرائضهم الدينية وعرضناهم للخطر من ناحية الدين والعقيدة ... إننا نعرف أنه من المستحيل للمسلمين أن يعيشوا حياة إسلامية طبق قوانين الإسلام ما لم يكن لهم قضاة يقضون بينهم وينفذوا أحكام الشريعة عليهم فهم في حاجة شديدة للقضاء، لا في أداء بعض الطقوس الدينية فقط، بل لحل القضايا التي تحدث كل يوم في حياتهم العائلية والاجتماعية".

في تلك الأوضاع عندما انتهت حركة السيد أحمد الشهيد ، وبعدما خمدت حركة الجهاد التي بدأ بها العلماء الغيارى في ساحة "شاملي" بولاية أترا براديش، في تلك الظروف القاسية نهض الشيخ أبو المحسن محمد سجاد رحمه الله تعالى الذي كان يؤلمه شقاء المسلمين الحالى ومستقبلهم، وكانت نظريته

أخذ ما يمكن تحقيقه الآن ونسعى لما لا يمكن الحصول عليه على الفور، يعني على علماء المسلمين وزعمائهم أن يذلوا جهودهم لإصلاح شأن المسلمين وتنفيذ شريعة الله عليهم إلى حد ما تسمح به الظروف والأحوال، وأن يختاروا أهون الضررين اجتناباً للضرر الأكبر، كان الشيخ فقيه النفس عميق النظر في قوانين الإسلام السياسية والاجتماعية، وكان يعرف أن كل جماعة مكلفة على قدر استطاعتها، ولا يجوز للمسلمين ترك تطبيق الأحكام الشرعية التي يمكن تطبيقها طوعاً بسبب فقدان السلطة والقوة القاهرة ، فبذل سماحته قصارى جهده لتوحيد المسلمين في صف واحد، وقام بتأسيس الإمارة الشرعية لولايتي بيهار وأريسة، وقام بانتخاب أمير للمسلمين في اجتماع كبير يمثل كبار علماء المسلمين في الهند، وأسس دار القضاء الشرعي بفضل الله وتوفيقه، يتقوى ويزدهر يوماً بعد يوم منذ سبعين سنة،

ومن أراد أن ينظر كيف تقوم الشريعة بدون السلطة والقوة المادية فعليه أن ينظر إلى الإمارة الشرعية التي قامت في ولاية بيهار وأريسة ولا شك أنها معجزة قوية من معجزات

الإسلام. (نظام القضاء الإسلامي، القاضي مجاهد الإسلام  
القاسمي ص ٦٥ وما بعدها).<sup>(١)</sup>

---

(١) بحث الدكتور قلعة جي المقدم في الندوة الفقهية الرابعة عشرة بالهند.

## نحو تأصيل فقه السياسة الشرعية

يقول الإمام الماوردي رحمه الله: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، ويقول: إنما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملائمة ستة أشياء، وهي: "دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح" (١).

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:

المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم (٢).

ويقول: وقد أمر الله العباد بأن يذلوا غاية وسعهم في التزام الأصلح فالإصلاح، واجتناب الأفسد فالأفسد وهذا هو الأساس

---

(١) الأحكام السلطانية / ١١٨.

(٢) الفتاوى / ٢٦٢.

الأكبر للتشرع الإسلامي<sup>(١)</sup>.

وقد يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد فالتكليف  
كله إما لدرء مفسدة، وإما لجلب مصلحة، أو لهما معاً<sup>(٢)</sup>.

ويقول:

اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت  
للحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس،  
والنسل، والمال، والعقل والمحافظة عليها عند الأمة  
كالضروري<sup>(٣)</sup>.

إن موضوع "الفقه السياسي" أو الجانب السياسي للفقه  
الإسلامي والمتمثل في كتب الاحتساب، والسياسة الشرعية، أو  
الأحكام السلطانية أو أبواب كتب الفقه الخاصة بالجهاد والسير  
وما إلى ذلك في حاجة ماسة إلى إعادة الترتيب والإضافات  
الكثيرة في ضوء معطيات هذا العصر.

إن دراسات "السياسة الشرعية" في الجامعات العربية

---

(١) الفتاوى ٢٨٤/٢٨.

(٢) المواقفات ١٩٩/١.

(٣) المواقفات ٣٨/١.

والإسلامية مازالت دون المستوى المطلوب وقد أرجع البعض ذلك إلى خطة المستعمرين أو المستشرقين الذين أشرفوا على وضع المناهج الدراسية في بعض البلاد العربية لصرف المسلمين عن الجانب السياسي إلى الاهتمام بالفنون الجميلة والمواد الأخرى.

إن "الفقه السياسي" لم يتم تناصحه أو تدوينه كقواعد منضبطة كما توجد في أبواب العبادات والأنكحة والبيو وغيرها وإن "السياسة الشرعية" لم تزل حظها من العناية والاهمام من قبل الفقهاء بل إن نشوب الخلاف المبكر في أحقيـة الخليفة وتبنيـ بعض الطوائف موضوع "الإمامـة" كأسـاس للعقـيدة جعل أهلـ السنـة أيضـا يدرجـون مـوضوع الإمامـة في علمـ الكلـام أو كـتبـ العـقـيدة معـ أنـ مـعظمـ أحـكامـ الـولـاـيـاتـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ مـثـلـ القـضاـءـ وـالمـظـالـمـ، وـأـبـوـابـ الـحدـودـ وـالـجـنـايـاتـ التـيـ لـاـ يـمـكـنـ تـنـفـيـذـهـ إـلـاـ مـنـ خـالـلـ سـلـطـاتـ الـخـلـيـفـةـ أوـ الـوزـيرـ وـالـقـاضـيـ ثـمـ تـأـصـيلـهـاـ وـتـفـصـيلـهـاـ فـيـ كـتـبـ الـفـقـهـ بـدـقـةـ بـالـغـةـ وـعـنـاـيـةـ تـامـةـ.

أماـ الحـدـيـثـ عـنـ الـخـلـافـةـ فـظـلـ يـدـورـ حـولـ شـروـطـ وـمـواـصـفـاتـ الـخـلـيـفـةـ وـوـجـوبـ طـاعـتـهـ فـيـ الـمـنـشـطـ وـالـمـكـرـهـ.

وـمـنـ الـواـضـحـ أـنـ إـلـاسـلامـ لـمـ يـحـددـ شـكـلاـ مـعـيـناـ لـنـظـامـ الـحـكـمـ

أو طريقة معينة لانتخاب الحاكم، واكتفى الشارع بوضع الإطار العام لإقامة القسط والعدل مع التأكيد على تنفيذ أحكام الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء المجتمع على أساس التكافل والتعاون.

وإن الخلافة الراشدة لم تدم فترة طويلة وقبل أن تنتهي أبتهي المسلمين بفتنة عارمة، ذهب ضحيتها الخليفة الثالث والرابع وكان الخليفة الثاني أيضاً استشهد قبلهما بطعنة غادرة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم جاءت الملوكيّة منضبطة حينما وملكاً عوضاً حيناً آخر، وكان قد أخبر بحدوث كل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم تصريحاً أو تلميحاً ومن الكوارث والفاجعات الكبرى استشهاد سبط النبي صلى الله عليه وسلم وريحانته الحسين بن علي رضي الله عنهما وكل ذلك قد عمّ الجراح وتسبّب في تفريق الأمة وشق عصا الوحدة، ومرت قرون بين آلام وأحلام، تنوّعت فيها أشكال الحكومات القائمة من خلافة إلى ملوكيّة إلى سلطنة مستقرة حيناً ومتناحرة حيناً آخر ولم يتبلور "الفقه السياسي" وإن كانت شوكة المسلمين قائمة على رقّعات شاسعة

من العالم إلى بداية عهد الاستعمار ونجاح دول الغرب في تقويض البلاد الإسلامية والقضاء على شوكة المسلمين وقوتهم. إن النظرة العابرة على الكتب التي ألفت تحت عنوان: "الأحكام السلطانية" أو "السياسة الشرعية" وكل ما كتبه الإمام الماوردي، وابن قتيبة والإمام ابن تيمية وابن خلدون، وما كتبه المعاصرون مع قيمته العلمية لا يشكل منها مرجعيا ولا يحتوي على قواعد ضابطة تأصيلية تسير عليها الأجيال.

إن الأمة الإسلامية تعيش في العصر الراهن حالة ارتباك شديد لعدم قدرة مؤسساتها على صياغة قواعد يحتملها الناس.

وهذا هو السبب في ظهور الفتاوى الشاذة وظهور اتجاهات الغلو والتکفير لعدم وجود قواعد منضبطة لعلم السياسة الإسلامية.

إن الفقهاء قد حددوا شروطاً لمن يتصدر للإفتاء في قضايا عامة فالواجب أن تكون شروط المفتى في القضايا السياسية الحساسة أكثر شدة لأن لها تأثيراً في سفك الدماء وانتهاء الأعراض.

إن المسلمين يعيشون اليوم عصر هيمنة القوى غير المسلمة، ويواجهون الاحتلال في موازين القوى العالمية، ويمرون بظروف الأحداث التي تعرضت لها – ولا تزال – العديد من الدول العربية والإسلامية، مع الانحياز الواضح للقوى الكبرى إلى عكس مصالح المسلمين، وهم في حالة شبيهة بمحاولات التطبيق القسري لصدام الحضارات عليهم، وال الحرب ضد ما يسمى "الإرهاب" من غير تحديد مفهوم واضح للإرهاب باستهدافهم، إلى جانب شعار "العولمة" بمفهومها الخاص، ومحاولة فرض العولمة من خلال ثورة المعلومات، ووسائل الاتصالات من ناحية، والتخييف والتهديد السياسي والاقتصادي من ناحية ثانية، وكل هذه الأشياء مع ضعف الواقع الديني وقلة الوعي السياسي لدى عامة المسلمين وانقسام المصالح على الأسس الطائفية والمذهبية لدى العديد من الفئات وجماعات المسلمين، تتطلب هذه الأمور إلى معالجة سريعة، وتحرك عاجل من قبل علماء المسلمين أولاً لتحديد وتطوير معالم الفقه السياسي وذلك من خلال اتخاذ خطوات سريعة وحاسمة وإعداد دراسات دقيقة وواضحة حول

### **الموضوعات التالية:**

- ضوابط المعارضة السياسية الإيجابية والبناء، وحدود نقد السلطة وآلياته على اختلاف الأنظمة السائدة في الدول الإسلامية.
- الحكم الشرعي للوسائل التي تستخدمها المعارضة للضغط على الحكومات مثل: الإضرابات، الاعتصامات، المظاهرات.
- مشروعية إنشاء الأحزاب وحدود الأنشطة الحزبية المسموحة والمباحة.
- حدود حرية الصحافة وأجهزة الإعلام وضوابط إبداء الرأي بهدف الإصلاح والتغيير.
- حكم المقاومة ضد الاحتلال، والأساليب المشروعة لها من: القتال المسلح، العصيان المدني، العمليات الاستشهادية، الهدنة، تنظيم المفاوضات، عقد الاتفاقيات وغيرها.
- حكم زيارة الأقصى في ظل الاحتلال في حالة استئناف إسرائيل بعزوف المسلمين عن الزيارة.

- حكم المشاركة في الحكومات غير الإسلامية.

ومن المعروف أن الإمام محمد بن الحسن الشيباني قد أبدع في بيان ضوابط العلاقات الدولية وإيصال صور التعامل مع غير المسلمين من أهل الذمة وغيرهم حتى أنشئت جمعيات باسم الشيباني في كل من ألمانيا وفرنسا تقديراً لهذا الإمام الجليل التي اعتبرته أباً القانون الدولي ورائد العلاقات الأممية. فأما اليوم وفي ظروف متغيرة، وارتفاع واندراوس حدود دار الحرب ودار الإسلام، أصبح الأمر أكثر إلحاحاً ليتم تدوين ضوابط العلاقات الدولية، وأصول الدبلوماسية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنّة وما تركه الفقهاء الأعلام من ثروة فقهية هائلة.

ولأداء مثل هذه المهام يكون قرار إنشاء "مجمع فقه السياسة الشرعية" قراراً صائباً ومفيداً.

وسوف يقوم المجمع المقترن ببلورة أحكام وقواعد:

- قواعد علاقة الفرد المسلم بأمته.

- قواعد التعامل مع غير المسلمين المقاتلين وغير المقاتلين.

- قواعد العلاقات الخارجية.
- قواعد التعامل مع الأطياف المختلفة داخل المجتمع الإسلامي.
- قواعد التعامل مع أهل الديانات والمذاهب الأخرى.  
وبذلك يمكن إخراج المسلمين من حالة الارتباك الشديد على الصعيدين الداخلي والخارجي، والقضاء على ظاهرة الفتاوي السياسية الشاذة التي تبرر قتل الأبرياء وتدمير المرافق والممتلكات وتجعل أوضاع المسلمين أكثر تعقيدا.
- إن الفقهاء قد وضعوا شروطاً للإفتاء في مسائل الطهارة والنجاسة فالقضايا السياسية التي تتعلق بحفظ الأرواح والأموال والأعراض كيف تترك أن تكون ساحة مستباحة لكل من يتصرّد للإفتاء من غير تأهيل شرعى، ويتجزأ للحديث في قضايا شائكة ودقيقة وحساسة تعرض مستقبل الدول والمجتمعات في خطر؟!  
هذه القضايا الحساسة تتطلب إنشاء مجمع فقه السياسة الشرعية" أو مركز التأصيل الشرعي للقضايا السياسية الراهنة يكون دوره التنظير الفقهي الدقيق في كافة قضايا السياسة الشرعية. والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق,,,



## **الفقيهة الحسناء فاطمة السمرقندية**

كان الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أو بين إيران وتوران هو نهر جيحون فبدأ العرب يطلقون على البلاد الواقعة وراء النهر (من جانب الشمال) بلاد ما وراء النهر.

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم:

١. أقليم الصغد.

٢. أقليم خوارزم، ويعرف بأقليم خيوه ويشمل على دلتا نهر جيحون.

٣. أقليم الصغانيان وتقع فيها بدخسان.

٤. أقليم فرغانه في أعلى نهر سيحون.

٥. أقليم الشاش وهو يعرفاليوم بأقليم طشقدن.

ومن أهم مناطق أقليم الصغد: بخارى، وسمرقند وقد شهدت هذه المنطقة حضارة وتقادما قبل مجئ الإسلام وتحولت بعده إلى مركز للعلم ومنبع للفقه وعلم الحديث.

سمرقند جنة الدنيا وحاضرة الإسلام:

كانت بلاد ما وراء النهر وخراسان حاضرة الإسلام ومركز إشعاع إسلامي في عهد الدولة السامانية يقول المقدسي متحدثاً عن بلاد ما وراء النهر:

(من أجل الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء معدن الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم، يبلغ فيه الفقهاء درجة الملوك<sup>١</sup>.

ويقول ابن الأثير:

إن الملوك أنفسهم (في تلك البلاد) كانوا يحبون العلم والتعلم وكانوا أحسن الملوك سيرة يرجعون إلى عدل ودين وعلم ف منهم أحمد بن سasan روى الحدث عن ابن عيينه، ويزيد بن هارون وغيرهما وروى عنه ابنه إسماعيل<sup>٢</sup>.

أما مدينة سمرقند التي كانت عاصمة إقليم الصغد وكانت تقع على مرتفع تنصب إليها الجداول من نهر زرافشان أو النهر الذهبي ف كانت من أجمل المدن جمالاً وازدهاراً ف كانت توصف بجنة الدنيا وموطناً للعلم والعلماء يقصد إليها العلماء والفقهاء ورجال التقوى والصلاح من كل أنحاء العالم.

---

<sup>١</sup> أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

<sup>٢</sup> اللباب: ٩٤/٢

قيل: إن الذي بني هذه المدينة العظيمة هو ذو القرنين،  
وقيل: الاسكندر المقدوني، وقيل: ملك الصين، وأيا كان الأمر  
فهي مدينة باللغة القدم وال伊拉克 والإصالحة كانت مزدهرة قبل  
الإسلام وأصبحت مركز إشعاع ثقافي وديني بعدما استنارت  
ربوعها بنور الإسلام.

وكانت جيوش المسلمين قد فتحت سمرقند عام ٦٥٦هـ في  
عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان على رأس الكتبية  
سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه واستشهد في المعركة  
قشم ابن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وقام أهل  
سمرقند ببناء مشهد ضخم على قبره يسمى مزار شاه زنده  
(ضريح السلطان الحي)، وأعاد فتح المدينة قتيبة بن مسلم  
الباهلي عام ٨٧هـ.

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان بعد وصف رائع  
لمدينة سمرقند:

وقالوا: ليس في الأرض مدينة أنجزه ولا أطيب ولا أحسن  
مستشرفاً من سمرقند.<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> معجم البلدان: ٣/٢٨٠.

ويقول النسفي: كانت البساتين تشغل شطراً كبيراً من مدينة سمرقند وكان كل مدينة يضم بستاناً وكان الناظر إلى المدينة من القلعة لا يستطيع رؤية مبانيها لاستثارها بالأشجار وقد ألف أبو حفص عمر بن محمد النسفي كتاباً باسم: القند في إخبار سمرقند.

هذه هي المدينة الجميلة الزاهرة المزدهرة التي أنجبت مئات من النوايغ والإعلام في الفقه والحديث والطب واللغة والأدب ومن أبرز علماء سمرقند وأدباءها: المحدث محمد بن عدي السمرقندى، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندى الملقب بإمام الهدى، وأبو منصور محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى، والإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى صاحب السنن والفقىه علاء الدين السمرقندى مؤلف تحفة الفقهاء، وابنته الفاضلة فاطمة السمرقندى ومحمد بن يمان السمرقندى وآخرون.

تربة المحمدىين:

هل تصدق أن قرية واحدة من قرى سمرقند تسمى بباكرديز دفن فيها نحو أربعة مائة عالم من فقهاء الحنفية يسمى كل

واحد منهم بـ محمد بن محمد (وهم من اشتهروا بالتصنيف والتأليف وكثرة من لازمه من التلاميذ؟ حتى سميت المقبرة الخاصة بهم بتربة المحمديين<sup>١</sup>؟

فإذا نبغ في قرية صغيرة أربعينائة فقيه يحمل كل واحد منهم اسم محمد بن محمد فكم يكون ياترى عدد العلماء من المحدثين والمفسرين أو المتخصصين في الطب والمنطق والعلوم الأخرى المتداولة في تلك الفترة من تاريخ الإسلام؟ ثم كم يكون عدد العلماء في كافة بلاد ما وراء النهر وخاصة في سمرقند وما جاورها من المدن والقرى؟

فقه الإمام أبي حنيفة النعمان:

لقد انتشر مذهب الإمام أبي حنيفة في أنحاء الأرض فهو أوسع المذاهب الفقهية انتشاراً وأكثرها اتباعاً يلتزم به المسلمون في الهند وباكستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وتركيا وأفغانستان كما يوجد في سوريا ومصر والجزائر والعراق اتباع هذا المذهب وظل مذهب الدولة في العصر

---

<sup>١</sup> راجع الجوادر المضيئة في طبقات الحنفية للقرشي: ٥٤/٢، ومناقب الإمام أبي حنيفة للبزار.

العباسي وزمن الملوك السلاجوقيون والخوارزميين وظل مذهب الدولة في عصر العثمانيين الأتراك طوال فترة حكم الخلافة وفي جميع الأقطار الخاضعة للحكم العثماني.

ومن ناحية ثانية كان المذهب الحنفي من أكثر المذاهب الفقهية خصوبة في تراثه الفقهي، فقد حظى هذا المذهب بوفرة من المؤلفات الفقهية وبعثاية من العلماء والفقهاء النابهين.

وقد نبغ عدد كبير من الفقهاء الأحناف في بلاد ماوراء النهر واقليم خراسان وبخارى وغيرها من المناطق التي ينتمي إليها معظم التوابع والإعلام في الحديث والتفسير والفقه والعلوم النفسية والطبية الذين يعتبرون رموزاً للحضارة الإسلامية وآيات لخصوصية الأمة الإسلامية.

إن تاريخ بلاد ما وراء النهر يزخر بأسماء لامعة في كافة العلوم والمعارف يقول العلامة المؤرخ ابن خلدون في مقدمته الشهيرة:

(أما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل بقيت أسواقه نافقة وبحواره زاخرة، لاتصال العمran الموفور واتصال السندي فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد

خرت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله تعالى قد أدار  
منها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم  
بخراسان وما وراء النهر<sup>١</sup>.

**دور علماء العجم في حفظ العلم وتدوينه:**  
لقد كان لبلاد العجم وخاصة فارس، وخراسان، واقليم ما  
وراء النهر حظ أوفر حيث أن أغلب علماء الإسلام وفقهائه  
ومحدثيه وفلاسفته وأطبائه كانوا من الأعاجم وقد ظهرت بذلك  
معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحقق ما قاله مخاطباً  
لسليمان الفارسي رضي الله عنه: (لو كان العلم بالشريا لتناوله رجال  
من هؤلاء).

**يقول الإمام النووي:**  
(خراسان العظيم المعروف موطن الكثير إلا كثر من علماء  
المسلمين) ويقول العالمة ابن خلدون معرجاً عن استغرابه  
ودهشته:

(من الغريب الواقع أن حملة العلم من الملة الإسلامية  
أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا العلوم العقلية إلا في

---

<sup>١</sup> مقدمة ابن خلدون: ٣٤٣.

القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباءه ومشيخته مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداءة.

ثم يقول بعد تحليل الأمر الواقع وبيان أسلوبه:

فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج وكلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربي ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم مستعجمون باللغة والمربي، وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً وكذا حملة علم الكلام وأكثر المفسرين، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم وظهر مصدق قوله صلى الله عليه وسلم (لو تعلق العلم بأكafa السماء لنانه قوم من أهل فارس<sup>١</sup>).

---

<sup>١</sup> مقدمة بن خلدون ص: ٤٥٣-٤٥٤. نص الحديث عنه الترمذى: لو كان الإيمان بالثريا لساوله رجال من هؤلاء، ويراجع كشف الخفاء للعجلوني وفيض القدير للمناوي.

**فقيهه حسناء:**

يقول المؤرخون أن فاطمة بنت محمد السمرقندى كانت حسناء بارعة الجمال وإن جماعة من أبناء ملوك بلاد الروم طلبوا يدها من والدها وأرادوا أن يتزوجوها لشهرتها في الجمال إلى جانب نبوغها في العلم والأدب وحسن الخط إلا أن أباها الفقيه الراهد لم يستجب لأحد إلى أن قيض الله تلميذاً نابعة وهو علاء الدين أبوبكر الكاساني الذي لزم والدها وتفقه لديه وبرع في علوم الأصول والفروع وصنف كتاباً بديعاً وهو كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وهو عبارة عن شرح لكتاب تحفة الفقهاء الذي ألفه أبوها وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به وزوجه ابنته وجعل مهرها هذه الموسوعة الفقهية النادرة حتى بدأ الفقهاء يقولون عنه: (حفظ تحفته وتزوج ابنته).

**المرأة في الإسلام:**

لم ينقص الإسلام من حق المرأة لحساب الرجل بل فتح لها آفاقاً واسعة للتقدم والرقي وأكد أن النساء شقائق الرجال، واعترف بوضوح: (لهن مثل الذي عليهن).

فكان من نساء الصحابة ورجال السلف من يلغن مكانة

عظيمة في العلم والفقه ورواية الحديث.

إن السمو الأخلاقي والنبوغ في العلم والقيام بالعمل الصالح لا يختص بالرجل يقول الله سبحانه: (من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزئنهم أجرهم بـأحسن ما كانوا يعملون) <sup>١</sup>.

ويقول: "ومن يعلم من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا" <sup>٢</sup>.

وفي فجر العهد الإسلامي قد شاركت النساء مع الرجال في تحمل عدد من المسؤوليات فكانت السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها تسقى الجرحى من جنود المسلمين بالقربة، ويروي الطبرى أن النساء في بعض الغزوات كن يقمن بتجهيز الشهداء.

يقول أحد المؤرخين الإنكليز معلقاً على دور المرأة المسلمة في بعض الغزوات والمعارك في بلاد الشام: لقد كان هذا الجيش من الجنس الناعم جديراً بالإجلال والتقدير كانت المسلمات ماهرات في ضرب السيف واستعمال الرماح،

---

<sup>١</sup> التحل: ٩٧.

<sup>٢</sup> النساء: ١٢٤.

ورمي السهام، واستطعن بذلك الخلال أن يحافظن على  
عفافهن في ظرف دقيق و موقف حرج.

وليس فاطمة السمرقندية العالمة المحدثة الفقهية إلا  
دلالة حيا على سمو تعاليم الإسلام، ومكانة المرأة في ظل  
الإسلام.

#### مجمع الفقه المنزلي:

لم يشهد تاريخ العلم والعلماء مثل هذا المثلث العلمي  
الفرد والمجمع الفقهي المنزلي يجتمع في عضويته رجال  
وامرأة من أسرة واحدة وبيت واحد وكل منهم من نوابع العلم  
ونوادر الأيام.

الأب: عالم فقيه زاهد رئيس أهل السنة في عصره وبليده  
ومؤلف كتاب تحفة الفقهاء.

والبنت: فقيهة ومحدثة، تفتدي وتدرس العلوم الشرعية،  
وتؤلف الكتب وتنبه على أخطاء الرجال في الفقه والحديث.

زوج البنت: ملك العلماء وإمام عظيم مؤلف موسوعة فقهية  
نادرة المثال.

هذا المجمع الفقهي المنزلي قد ترك آثاره في تاريخ الفقه

الإسلامي جلية واضحة وإن الفقهاء مدينون لهذا البيت العلمي  
على مر العصور والأجيال فما زال كتاب تحفة الفقهاء يدرس  
في الجامعات ويرجع إليه الباحثون في الفقه والأصول.  
وما زال كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع معيناً عذباً  
منهلاً متدفقاً لرواد الفقه وكم من الكتب والموسوعات الفقهية  
قد دونت من المادة الفقهية التي جمعها الكاساني؟ وكم من  
الفقهاء الذين تخرجوا في مدرسة الكاساني المتفردة في الفقه  
والأصول؟

فرغم مرور عدة قرون لم يزل الكاساني ملك العلماء وما  
زال كتابه مرجعاً للعلماء والفقهاء والأصوليين.

امرأة فاقت الرجل:  
يدذكر تاريخ الفقه الحنفي اسم امرأة فاقت الرجال في الفهم  
والذكاء ويصفها المؤرخون بالعالمة الفاضلة والفقيحة المحدثة  
ذات خط جميل تعرف بفاطمة السمرقندية.  
 فهي كانت محدثة تروي أحاديث الرسول صلى الله عليه  
 وسلم وتعليم الرجال والنساء كتب الصاحح من السنن  
 والمسانيد وتمتحنهم إجازات علمية.

وكانت فقيهة فاضلة تحفظ مذاهب العلماء وتنقلها بدقة  
وإتقان يخطئ زوجها الإمام الكاساني فتبهها على الأخطاء  
فيأخذ قولها ويرجع إلى ما ذهبت إليها.

وكانت مدرسة تدرس الفقه والحديث بل كانت هي تتصدر  
في التعليم وتفوق أقرانها.

وكانت ذات رأي سديد يرجع إليها الملك العادل نور  
الدين الشهيد عام ٥٦٩ هـ فيستشيرها في القضايا المهمة  
ويسألها المسائل الفقهية فهي كانت بمثابة مستشارة في  
الشؤون الدينية وكان الملك يبالغ في إكرامها لما كانت تتمتع  
بها من نباهة وذكاء وفقه وصلاح.

وكانت مؤلفة بارعة في التأليف تركت مجموعة من الكتب  
في الفقه والحديث يذكرها العلماء بتقدير وإجلال لا ندري  
أضاعت تلك الشروة العلمية الشمينة على أيدي قراصنة  
الحضارات ولصوص الثقافات؟ أم ما زالت بعضًا منها مغمورة  
بين نواذر المخطوطات في مكتبات أوروبا وآسيا ولم تكن هذه  
المرأة الفاضلة بنت الإمام الفقيه وزوجة العالم الأصولي  
المجتهد فحسب بل كانت هي نفسها فقيهة وعالمة تفتى في  
القضايا الفقهية فكانت تخرج الفتوى من بينها بتوقيع أبيها

وبتوضيقها فلما تزوجت بالإمام الكاساني فأصبحت هيئة الإفتاء تتكون منها ومن أبيها وزوجها فما كانت تخرج الفتوى إلا بخط الثلاثة وبتوقيع كل من الأب والزوج والبنت هذه هي الفقيهة البارعة فاطمة بنت محمد السمرقندية ما زالت حياتها قدوة للجنس اللطيف ورمتاً لمكانة المرأة العظيمة في ظل تعاليم الإسلام السمحاء وكم للإسلام من أيادي بيضاء في مناصرة المرأة وإنقاذها من الظلم والجهل؟

والدها: علاء الدين السمرقndي:

ولدت هذه النابغة الجليلة والفقية البارعى التي اشتهرت بدقة نظرها وسعة اطلاعها ونباهة فهمها وقوه اجتهاها في بيت عالم جليل، وإمام عظيم من الفقهاء النابهين الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ العلم والفقه وسير حركة الاستنباط والاجتهد وازدانت بجهودهم وإنجازاتهم المكتبة العلمية الإسلامية العامرة.

فقد كان والد هذه الفتاة العبرية هو الإمام العلامة الفقيه محمد بن أبي بكر علاء الدين السمرقندى مؤلف كتاب (تحفة الفقهاء) وهو كتاب يحظى بقبول بين الفقهاء وظل منذ قرون بين كتب المنهج الدراسي كما أن شرحه للكاسانى خلد الكتاب

كمرجع أساسي وكتاب يستند إليه كل عالم وفقيه.

تفقه السمرقندى على الإمام أبي المعين المكحولي وصدر الإمام أبي اليسر البزدوي، واستفاد منه خلق كثير وعلى رأسهم مؤلف بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (تلك الموسوعة الفقهية الفريدة التي لم يؤلف مثلها في الفقه الحنفي) وكان السمرقندى قد زاد في تحفة الفقهاء على متن القدوسي ورتبها ترتيباً حسناً ومات عام ٥٥٢هـ. وقد ورد في كتاب الأنساب للسمعاني أنه مات بخارى وقيل إنه مات سنة ٥٣٩هـ.

كان السمرقندى تلميذاً لكل من الإمام البزدوى والإمام أبي المعين المكحولي والإمام أبي منصور الماتريدي، وأبي بكر الجوزجانى أما تلاميذه فمن أشهرهم محمد بن الحسين البدنجي أستاذ صاحب الهدایة، وابنته الفقهية الفاضلة فاطمة، والإمام أبو بكر الكاسانى زوج ابنته وشارح تحفته. وكان السمرقندى إماماً في الفقه والأصول وقد ترك مؤلفات عديدة تدل على مكانته العظيمة في كافة العلوم الشرعية والعقلية.

فقد ألف تحفة الفقهاء كما ألف شرح كتاب التأويلات للماتريدي ومن مختلف الرواية، وميزان الأصول في نتائج العقول

## وشرح الجامع الكبير وألف كتاباً باسم المبسوط والزيادات وشرح الطحاوي.

غير أن كتابه الذي خلد ذكره هو تحفة الفقهاء يقول عنها أهل العلم أنه لا يوجد له مثيل بين كتب الفقه الإسلامي المعروفة فهي ليست موجزاً إيجازاً شديداً كمختصر الطحاوي، ومختصر القدوسي وبداية المرغيناني وكنز الدقائق للنسفي وتنوير الأ بصار للتمرتاشي وليس مطولة جداً كمبسوط السرخسي، والمحبظ البرهاني أو البدائع للكاساني وهو كتاب في جزء واحد سهل العبارة قريب المنال ويمتاز بالتقسيم والترتيب.

فهو على تعبير الدكتور زكي عبد البر: (كتاب علمي عملي وسط سهل مترب).

وكفاه فخرأً أن تصبح بنته فاطمة فقيهة بحفظ (التحفة) ويلقب زوج بنته بملك العلماء بشرحه للتحفة وصلة الكتاب ببدائع الكاساني معروفة مشهورة حتى جرى على لسان أهل الفقه كلاماً بلغاً: (شرح تحفته وتزوج ابنته).

يقول الإمام الكاساني:

(وقد كثر تصانيف مشايخنا في هذا الفن قديماً وحديثاً وكلهم أفادوا وأجادوا غير أنهم لم يصرفوا العناية إلى الترتيب

في ذلك سوى أستاذِي وارثُ السنَّة ومورثُها الشِّيخ الإمام الزاهد علاء الدين رئيس علاء الدين رئيس أهل السنَّة محمد بن أحمد بن أحمد السمرقندِي رحمة الله تعالى فاقتديت به فاهاهتني<sup>١</sup>. فالتحفة لها مكانة كبيرة وهي حلقة هامة بين كتب الفقه الإسلامي لقد كان السمرقندِي شامة بين العلماء بعلمه وورعه وسماته الشخصية التي خصه الله بها.

ومن أبرزها:

(أ) الزهد واتباع السنَّة فيوصف بالإمام الزاهد وارث السنَّة ومورثها.

(ب) غنى النفس والاعتماد على الله: فقد رفض أن يزوج ابنته العالمة الفقيهة نادرة العصر بأبناء الملوك وزوجها بطالب فقير تميز بالتفقه في الدين وجعل كتابه مهراً لابنته ولا يعمل هذا إلا من يكون من ذوي النفوس العالية والإيمان العميق والحب الشديد للعلم مع الزهد الحقيقي والنزاهة في السلوك.

(ج) التواضع: كانت الفتاوی تصدر من بيته وهي تحمل توقيع ابنته وزوجها الذي كان من أرشد تلاميذه وهذا يدل على إنكار الذات والإخلاص.

---

<sup>١</sup> بدائع الصنائع: ٢/١.

زوجها: ملك العلماء الإمام الكاساني:

لم يشهد تاريخ العلم والعلماء مثل هذا المثلث العلمي الغرير بين العباقرة والتوابع حيث يكون الأب فقيهاً بارزاً وعلماً من أعلام الفقه والتشريع والبنت تكون فقيهة بارزة يرجع إليها العلماء لحل العضلات الفقهية وتصحح الأخطاء الفنية والزوج يكون نابغاً في الفقه والأصول وإماماً من أئمة التخريج والاستبطان يشري المكتبة الإسلامية بكتاب عظيم مثل كتاب بدائع في ترتيب الشرائع.

فكان زوجها هو أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني ملك العلماء علاء الدين الحنفي نابغاً في الفقه وإمام عظيم القدر.

لقد تفقه على الشيخ الإمام محمد بن أبي أحمد السمرقندى الملقب بعلاء الدين أيضاً وقرأ عليه معظم تصانيفه من بينها تحفة الفقهاء.

وبعد ما ألف كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وعرضه على أستاذة السمرقندى فأعجب به وبالغ في مدحه وزوجه ابنته الفقيحة وجعل كتاب البدائع مهراً لها فجرى على لسان فقهاء عصره كان شرح تحفته وتزوج ابنته وكان أبوها قد رفض أن يزوج

ابنته أبناء ملوك الروم وكان قد أرسل في مهمة دبلوماسية من ملك الروم إلى السلطان نور الدين محمود بحلب في بلاد الشام وكان قد وقع الاختيار عليه بسبب براعته في الفقه وقوه حجته وسرعة خاطره.

وقد لقي في حلب ترحيباً فلما تولى الحلاوية من قبل السلطان فكان الفقهاء يفرشون له السجادة ويجلسون حولها قبل أن يأتي الإمام الكاساني ويجلس في وسط الحلقة ويفيض من علمه.

لقد عاش الكاساني حياة حافلة بالعلم والزهد وبذل أنفاسه الطاهرة في أرساء دعائم الشريعة الإسلامية فرزقه الله موتاً يغبط به الصالحون.

يقول ابن العديم:

سمعت ضياء الدين محمد بن حبس الحنفي يقول:  
حضرت الكاساني عند موته فشرع في سورة إبراهيم حتى  
إذا انتهى إلى قوله تعالى:  
(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) خرجت روحه عند فراغه من قوله وفي الآخرة.

وقد مات رحمه اللهاليوم العاشر من شهر رجب من سنة  
٥٨٧هـ وقد دفن عند قبر زوجته الفاضلة السمرقندية داخل  
مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب وكان الإمام الكاساني كما جاء  
في شعره كتبه على إحدى نسخ كتابه البدائع بخط يده:  
سبقت العالمين إلى المعالي بصائب فكرة وعلو همة ولا ح  
بحكمتي نور الهدى في ليال بالضلالة مد لهمه يريد الجادون  
ليطفئوه فيأبى الله إلا أن يتمه.  
فرحمه الله رحمة واسعة وأسبغ عليه وعلى زوجته الفاضلة  
وابتها العظيم سحائب رحمته ورضوانه.

## الشاعر المؤمن .. عمر بهاء الأميري

عمر بهاء الدين الأميري لم يكن شاعراً مجيداً طبق الآفاق  
بمواهبه الشعرية المبدعة، وعواطفه الإيمانية الجياشة، وبراعته  
اللغوية الفائقه فحسب، بل كان مفكراً إسلامياً، وكاتباً قديراً،  
ورائداً من رواد الجيل الإسلامي المعاصر، ورمزاً للثقافة العربية  
الإسلامية الأصيلة، وخبيراً في شؤون الثقافة والحضارة الإنسانية  
عن جدارة واستحقاق.

ولد الأميري عام ١٩١٥ في مدينة حلب الشهباء وبعد  
الثانوية في الآداب والفلسفة درس الحقوق في الجامعة السورية  
بدمشق ثم أكمل دراسته العليا في الآداب وفقه اللغة في جامعة  
سوربون في باريس عاصمة فرنسا.

عاش فترة كأستاذ في علوم الاجتماع والأخلاق والحضارة  
في حلب ودمشق وساهم في انطلاقه العمل الإسلامية بفعالية،  
وشارك في الدفاع عن القدس خلال حرب فلسطين عام  
١٩٤٨م.

عين سفيراً لسوريا في المملكة العربية السعودية كما قضى  
فتره من الزمن في باكستان يمثل بلاده كسفير، واستأنس بأشعار  
محمد اقبال وأفكاره وتعلم اللغة الأردية للتذوق والاستفادة من  
شعر محمد اقبال وأدبه.

دعي في عام ١٩٦٦م أستاذًا يكرس الإسلام والتىارات  
المعاصرة في دار الحديث الحسينية بالرباط (قسم الدراسات  
العليا للدبلوم والدكتوراه بجامعة القرويين) كما ظل يدرس مادة  
الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة  
محمد الخامس واختار المغرب كوطنه دائم له.

فاستقر هناك تاركاً مسقط رأسه عمل أستاذ زائر ومحاضر  
في معظم جامعات المملكة العربية السعودية والأزهر، وجامعة  
الجزائر وجامعات الكويت وصنعاء والأردن وقطر والإمارات  
العربية المتحدة إضافة إلى جامعات باكستان وتركيا واندونيسيا،  
وكان عضواً في المجمع العلمي، والمجمع الملكي ويشارك في  
الندوات العلمية والمناسبات الأدبية في أنحاء العالم المختلفة.  
ترك الأميري آثاراً خالدة في الفكر والشعر والأدب وقد  
ترجم بعض إنتاجه الأدبي والفكري إلى اللغات الغربية كما كان

شعره موضوع عدّ، من الأطروحات الجامعية في الجامعات العربية والأوروبية، ومن أشهر دواوين الأميري الشعريّة: (مع الله) و (ألوان طيف).

وإلى جانب أستاذته في اللغة العربية كان يجيد عمر بهاء الأميري من اللغات: الفرنسية، والتركية، والأردية مع إلمام ببعض اللغات الحية الأخرى.

كان الأميري يتميّز بفكرة الإسلامي النير وروحه الدينية الوثابة وإحساسه الإنساني المرهف، وعاطفته الإيمانية القوية.

إن ديوان شعره (مع الله) نموذج فريد ورائع للأدب الإسلامي الرفيع والشعر العذب السلسال، وإن قصائده الشعرية تنم عن مقدراته الفائقه على قرض الشعر وامتلاكه ناصية اللغة وإن روحانيته الفياضة كانت قد أضفت على حياته قدسيّة وصفاء وإن شفافية قلبه قد حولت أبيات شعره المطبوع الأصيل إلى ترانيم روحية وروائع آيات الابتهاج تأخذ بمجامع القلوب وتأسر العقول وتتدفق بالحيوية والعذوبة وتجعل الإنسان يرددها آناء الليل وأطراف النهار، وهي خير زاد لأذكاء النفوس والقلوب، وإلهاب الشعور والوجدان في عصر طفت فيه المادية الجامحة، والله در الأميري حيث يقول:

تبليد في الناس روح الكفاح  
ومالوا لكسب وعيش رتيب  
فيا رب انقدر فتى عانيا  
تضرع في جوب ليل رهيب

لقد انتقل هذا الشاعر العبري الفذ، والمُجاهد الدؤوب  
والإنسن المؤمن بعد حياة حافلة بالأمجاد والآثار إلى جوار ربه  
وسائل الإعلام العربي وحتى المجالات الإسلامية التي كانت  
تتسابق إلى الاقتباس من نوره، وإجراء الحوار معه وتعتز بنشر  
أفكاره، في حالة غيوبة تامة وكان قد نقل من المغرب إلى  
الرياض إثر مرض الم به حيث وافته المنية في السادس  
والعشرين من أبريل الماضي الم يكن من حق هذا الشاعر  
المفكر المثقف المؤمن أن ينوره به؟ وتذكر آثار أعماله وروائع  
إنتاجه؟

فإلى جنة الخلد - إن شاء الله - في قافلة من نوابغ  
الشعر الإسلامي حسان بن ثابت وكعب بن زهير، ومحمد إقبال  
الذين سخروا مواهبهم الفنية لخدمة الإسلام وحملوا رأية  
الإسلام ودافعوا عنه في غيرة وعزّة وحماسة وإخلاص.

رحم الله الشاعر المؤمن عمر بهاء الدين الأميري وأسكنه  
فسيح جناته وتغمده برحمته ورضوانه وما ذلك على الله بعزيز.

## حياة باحث مسلم يعيش في الغرب

الدكتور محمد حميد الله من نوابع هذا العصر، ومن الباحثين الإسلاميين المرموقين في عالمنا المعاصر، يعيش منذ أكثر من خمسين عاماً في أوروبا وفي عاصمة فرنسا باريس بالذات لكن على عكس ما هو المعهود من كثير من ضعاف النفوس لم يتفرنج ولم ينبهر من بريق الحضارة الغربية فلم يبتعد قيل أئملاً من خصائصه الشرقية ومقومات حياته ومبادئه الدينية ولم تزده الحياة الطويلة في قلب أوروبا إلا ثقة بدينه والتزاماً في سلوكه، وشغفاً بتراثه واعتزازاً بانتماهه وتفانيه وإنخراضاً في نشر مبادئه وإنقاذ الناس من أوحال الحياة المادية البحتة وإرشادهم إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ولم يأخذ من أهل الغرب إلا ما هو المفيد والنافع فإن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها.

ولد محمد حميد الله في مدينة حيدرآباد بالهند عام ١٩٠٨ وكانت أعلام الإمارة الآصفية المسلمة ترفرف على

ربوعها والمدينة تصاهي دمشق والقاهرة وبغداد في عصور ازدهارها باحتضان أكبر عدد من العلماء وحمل راية العلم والثقافة بمدينة فيها "دائرة المعارف العثمانية" التي عرفت بدورها الرائد في إحياء التراث الإسلامي العربي الأصيل، ونشر أمهات كتب السنة وعلوم الحديث كالسنن للإمام البيهقي والتاريخ الكبير للإمام البخاري وميزان الاعتدال للإمام الذهبي إلى جانب كتب الفلسفة، والطب، وعلم المناظر وعلم الفلك والكيمياء من مؤلفات ابن سينا، وابن الهيثم وابن رشد والرازي ومعاجم في اللغة والأداب في وقت لم تتحدث فيه المطابع في بيروت والعواصم العربية والإسلامية الأخرى.

مدينة كانت تقوم بتجربة فريدة في نقل العلوم من العربية والإنكليزية إلى لغة المسلمين الأردو لتكون هي لغة التدريس في الجامعة العثمانية حتى في مجال الطب والهندسة، والفلسفة المعاصرة وكافة فنون المعرفة وقد قامت فعلاً دار الترجمة بأعمال هائلة في هذا المجال.

رحلته في طلب العلم:

فتح محمد حميد الله عيونه في هذا الجو العلمي، ونشأ

منذ نعومة أظفاره شغوفاً بالعلم، ولوعاً بالبحث والدراسة واستمر في دراسته إلى أن أخذ الشهادات العليا من الجامعة العثمانية واستفاد من أعلام عصره ومن أشهرهم العلامة الراحل الشيخ مناظر أحسن الكيلاني.

ثم سافر إلى ألمانيا ونال شهادة الدكتوراه من جامعة بون في عام ١٩٣٢ على بحثه القيم حول "القوانين الدولية في الإسلام".

ثم سافر إلى فرنسا وأخذ شهادة الدكتوراه الثانية من جامعة سوربون وكان موضوع رسالته "المهام الدبلوماسية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين".

ثم عاد إلى الهند وظل يمارس التدريس في الجامعة العثمانية فترة غير قصيرة وبعدما شهدت مدينة حيدرآباد سقوطها واستولت الهند عليها بعد القضاء على الإمارة الأصفية هاجر محمد حميد الله إلى فرنسا واستقر هناك وبدأ يحاضر في عدد من الجامعات الأوروبية والآسيوية وكان يسافر كل أسبوع إلى تركيا للقاء الدروس في جامعة أنقرة.

كما ارتبط بمركز الدراسات العلمية الفرنسية الوطنية، وظل

يواصل عمله ما يقارب خمسة وعشرين عاماً، وظل يزود المكتبة الإسلامية بروائع إنتاجه وبدائع مؤلفاته إلى جانب قيامه بجهد دائم في نشر الإسلام بين الفرنسيين.

و حول انتشار الدين الإسلامي في فرنسا يقول محمد حميد الله: إنه رغم العداء التقليدي السائد لدى بعض الفئات تجاه الإسلام والمسلمين وذكريات مريرة للاستعمار الفرنسي في الجزائر اعتنق أكثر من مائة ألف فرنسي دين الإسلام خلال فترة ماضية وإن معدل دخول الفرنسيين في الإسلام لا يقل عن ثمانية أو سبعة أشخاص يومياً.

#### مؤلفاته:

أما مؤلفات وبحوث الدكتور محمد حميد الله فهي كثيرة ومتنوعة ويشهد أرشيفه الشخصي الذي أعده لنفسه بأن تسعمئة وواحد وعشرين مقالاً نشر له إلى بداية هذا العام، وإن مؤلفاته تقارب مائة كتاب بين صغير وكبير، ومن أشهر مؤلفاته:

- ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفرنسية وقد نفذت نسخ الطبعة التاسعة عشرة من الكتاب وهو يعيد النظر حالياً للطبعة الجديدة.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراسدة.
  - القوانين الدولية في الإسلام.
  - الحياة السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم.
  - ميادين الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ومن الكتب التي حققها:
- صحيفية همام بن منبه. وجد نسخة نادرة من الكتاب في مكتبة برلين فقام بتحقيق الكتاب ونشره وكتب له مقدمة ضافية تدل على طول باعه ورسوخ قدمه في مجال التحقيق.
  - كتاب السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني وقد طبع باللغة التركية.
- كما أعد الدكتور محمد حميد الله فهرس تراجم معاني القرآن الكريم جمع فيه نماذج الترجمة من مائة وعشرين لغة. وانتهى قريباً من إعداد فهرس الأعلام والأماكن والمواضيع في صحيح الإمام البخاري بأسلوب مبتكر جديد ودقيق.

وحول اختياره لباريس مكاناً لنشاطه يقول محمد حميد الله: لأنها أغنى المدن في العالم في دنيا المكتبات وإن عشرة ملايين كتاب توجد في فرنسا وإن مكتبة الألسنة الشرقية وحدها تحتوي على ثلاثة ملايين كتاب وفيها الكثير من التراث الإسلامي والعربي لا يكاد يتوفّر في مدينة أخرى في العالم.

يعيش هذا العالم الجليل والباحث الكبير في غرفة متواضعة غاصة بالكتب حياة الزهد ورهان العلم، يرفض لأن يصوّره أحد أو يظهر أمام شاشة التلفزيون لأنّه لا يرى التصوّير مباحاً إلا للضرورة القصوى ولا يملك جواز سفر أية دولة ما عدا وثيقة السفر الفرنسية ولم يكن لنفسه أسرة ولا بيتاً ومن حقه أن يتمثل بقول الإمام الرمّخشري:

سهرى لتنقىحة العلوم الذي  
من وصل غانية وطيب عناق  
وتمايلى طرياً بحل عويبة  
أشهى وأحلى من مدامه ساق  
وكم نحن في حاجة إلى أمثال محمد حميد الله أمد الله  
في عمره وأبقاءه ذخراً للإسلام والمسلمين فهو قدوة لطلبة العلم

وأسوة للباحثين المسلمين الغيورين على دينهم وحفظ تراثهم.  
وأخيراً جاءه الأجل في أمريكا فعاش حميداً ومات حميداً  
فرحمه الله رحمة واسعة.

## **المحتويات**

الصفحة	العنوان
٥	الأقليات المسلمة ..... تحديات و آمال (الهند نموذجاً)
١٩	دبة المرأة بين التنصيف والتكميل
٣٩	نحو تصور الدولة المدنية في الواقع السياسي الراهن
٤٣	ملاحظات على كتاب - المقدمة في فقه العصر
٦٣	تاريخ أمة في سير أئمة - شخصية وكتاب
٧٠	مشروع هيئة التنسيق والتعاون
٧٦	مجمع الفقه الإسلامي بالهند

٩١	نحو حماية وتنمية الأوقاف في الهند
٩٩	أدب نجيب محفوظ بين إرتفاع و سقوط
١٠٧	الفلكي الكبير و عقدة عاشوراء ربيع الأول
١٢٣	ورقة مقدمة إلى (اجتماع الهيئة الاستشارية لمركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض)
١٣٣	تجربة عملية فريدة
١٤٤	نحو تأصيل فقه السياسة الشرعية
×	الشيخ عطية محمد صفر
١٥٢	الفقيهة الفاضلة السيدة فاطمة السمرقندى
١٧٠	الشاعر عمر بهاء الأميري
١٧٤	حياة باحث مسلم يعيش في الغرب (الدكتور محمد حميد الله)

الشيخ القاسمي نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي في الهند:

## البنوك الإسلامية تحتاج إلى منتجات حقيقة وليس ربوية مستنسخة

قال الشيخ بدر الحسن القاسمي نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي في الهند، وعضو الهيئة الشرعية للتصنيف والرقابة، إن تجربة البنوك الإسلامية ناجحة، مشيراً إلى أن أصول المؤسسات المالية بلغت أكثر من ٨٠٠ مليار دولار. وأوضح في حوار مع "الاقتصادية" أنه رغم ما لدى المصرفية الإسلامية من مقومات جيدة ومبادئ وأسس متينة فهي تحتاج إلى إعداد كوادر ومنتجات إسلامية حقيقة وليس منتجات مستنسخة، داعياً إلى تعديل أسلوب التمويل العقاري والابتعاد عن عملية التورق المنظم واتباع الشفافية والالتزام بالقواعد المصرفية في إطار مبادئ العمل المصرفي الإسلامي.

هناك من يقول إن أسواق المال في حاجة إلى ضوابط الاقتصاد الإسلامي، فما هذه الضوابط التي تميز بها الاقتصاد الإسلامي عما سواه من الأنظمة المالية الأخرى؟

إن الاقتصاد الإسلامي يختلف في منطلقاته عن الأنظمة الاقتصادية الأخرى، فله ضوابط عقدية وأخلاقية، وله مرجعية إلى النصوص الشرعية، فالربحية وحدها ليست أساس التعامل المالي في

الاقتصاد الإسلامي، لأنه مقيد بضوابط الحلال والحرام، ثم بمبدأ عدم الإضرار بالآخرين، الاقتصاد الإسلامي يفرض على الناس ضوابط من بينها: الابتعاد عن المقامرات مهما كانت ذات أرباح وفوائد، التجنب الكامل للربا والأنشطة والممارسات المبنية على الفوائد، عدم الدخول في العقود الوهمية لجلب المنافع وحني الأرباح بطرق غير مشروعة، والابتعاد عن بيع الدين بالدين، وإن مثل هذه الضوابط تضمن حماية الأفراد من الإفلاس، وحماية المؤسسات المالية من الانهيار، وبعد تجربة الأزمة المالية الراهنة أصبح العالم كله في حاجة إلى الالتزام بمثل هذه الضوابط.

يرزح كثيرون تحت طائلة القروض، هل هذا نتاج لثقافة الاقتراض التي نمتها وشجعتها البنوك؟ أم تكمن المشكلة في إدارة القرض نفسه؟ إن تقديم القرض الحسن لمن يحتاج إليه أمر حث عليه الإسلام، لكنه لا يرى إدارة عجلة الحياة كلها على الديون أو القروض، وإن سبب معاناة الناس اليوم هي ثقافة الاقتراض، وإن الإسلام لا يقر بأية فائدة للمقرض، والقرض الحسن من أدوات التمويل التبرعية وغير الملزمة. أما الاقتصاد الوضعي فهو قائم على الديون، والديون بفائدة مدمرة للبلاد والعباد كما هو مشاهد الآن من خلال الأزمة المالية المعاصرة وانهيار بنوك تلو أخرى، إن الديون تزيد عدد الممولين والأخذين لكنها تدخل الآخذين في دوامة الفوائد المحرمة والممولين في جشع دائم ونزعه "هل من مزيد" الجهنمية.

كما تعلمون فإن هناك من يرفض التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي، وهناك فريق أيد هذا التدخل بالكامل، وفريق ثالث وقف في المنتصف يرى أن على الحكومات أن تتدخل إذا اقتضت الحاجة والمصلحة فقط.. فما الرؤية من وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي؟

إن الحكومات لها دور كبير في ضبط التعامل في الأسواق، والاقتصاد الإسلامي وإن كان يشجع حرية التعامل ولا يقيد الأنشطة التجارية الحرة، لكن الحسبة أو الاحتساب من واجبات الحكومة، فعليها أن تمنع الأنشطة والممارسات التجارية المحمرة، كما أن على الحكومة أن ترافق التوازن بين العرض والطلب في السوق وتحمي الاحتكار، وتتدخل إذا شعرت بأن هناك تلاعباً في التعامل أو مؤشرات لانهيار الاقتصاد ومخاوف عن وقوع البلاد والعباد في مسلسل الديون والفوائد، وأن تضع حداً للممارسات السلبية، لكن ليس لها أن تحدث العرقل في طريق نجاح الصيرفة الإسلامية أو تقييد حرية المؤسسات المالية الإسلامية.

فلا شك أن دور الدولة المسلمة في بناء السلوك الاقتصادي الإسلامي والمحافظة عليه كبير، حيث إن الضوابط الأخلاقية وحدها غير كافية لضبط الأمور، بل لا بد من رادع الاحتساب حتى لا يسود الغش بين المتعاملين، ولا يكون التلاعب في العقود والممارسات التجارية ولا يكون الاحتكار المتسبب في إضرار الناس.

فمع أن الأصل في الإسلام هو الحرية وترك الأسعار وفق العرض

والطلب في الظروف الاعتيادية لكن في الحالات الاستثنائية يجب حسب التدبير من الحكومة، حيث يقول المقرنزي: "إن أسباب ارتفاع الأسعار راجع إلى سوء تدبير الحكم وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد".

### ما منهجه الاقتصاد الإسلامي في تجنب الوقوع في الأزمات الاقتصادية؟

إن منهجه الاقتصاد الإسلامي في تجنب الأزمات الاقتصادية يتلخص في: ترك التعامل الربوي نهائياً، عدم الخوض في المقامرات، وحرمة بيع ما لا يملكه الإنسان، بناء التعامل التجاري على أسس الربح والخسارة، وعدم جعل الديون وسيلة لكسب المال، إلى جانب الالتزام بأسس أخلاقية مثل الصدق والأمانة وترك الغش والخيانة.

نظريه الحرية الاقتصادية الكاملة انهارت مع أولى بوادر الأزمة المالية العالمية، لكن الغريب أننا نسمع الآن أصواتاً تتحدث عن الحرية الاقتصادية في الشريعة الإسلامية.. فما تعليقكم؟

الإسلام يفرق بين ما هو مباح وما هو غير مباح من التعامل التجاري أو الممارسات الاقتصادية، فالحرية الاقتصادية لا يمكن أن تكون مطلقة في الشريعة الإسلامية، بل إنها منضبطة بالقواعد ولها حدود يجب الالتزام بها. فحينما يعطي الإسلامي الناجر الحرية في عقد الشراء والبيع وتسعيره البضائع وامتلاك ما يكسبه من مال من غير تدخل، يمنع الإسلام الجشع وخلق الأزمات في السوق سواء كان

بالاحتكار أو برفع أسعار البضائع إلى حد يضر مصالح عامة الناس، فالحرية في الاقتصاد الإسلامي مقننة ومقيدة بضوابط لا يصح تجاوزها.

الاقتصاد الرأسمالي يشجع على الإنفاق الاستهلاكي من خلال الترويج للطلب وجعل التسوق متعة، وعلى سبيل المثال، يقدر خبراء أن ثلثي الاقتصاد الأمريكي مبني على الإنفاق، بينما الاقتصاد الإسلامي يشجع العكس تماماً، ويدعو إلى الضغط على الطلب بترشيد الاستهلاك .. فما الحكمة من وراء هذا التحفظ على الإنفاق؟

الإنسان مسؤول في الإسلام عما يكسبه وفيه ينفقه، فلا بد من ترشيد الاستهلاك مع عدم التضييق على الناس فيما هو مباح.

إن التمادي في الاستهلاك خارج حدود الحاجيات والضروريات والتحسينيات يدخل في حدود الإسراف ويفتح أمام الإنسان طرق الانغماس في الملذات والشهوات.

الإنسان المسلم يعيش لأهداف سامية ونبيلة، وحياته على هذا الكوكب الأرضي ليست دائمة، فهو لا يعيش ليكسب فقط، ولا يكسب ليأكل ويتمتع فقط، وحياته ليست مقتصرة على المطبخ والمرحاض، لذا يفرض الإسلام بعض القيود فيسمح بالإنفاق فيما يحتاج إليه ويمتنع الإسراف ليبقى الإنسان قادراً على أداء دوره في هذا الكون.

هناك من يقول إن المصرفية الإسلامية نظريات وبحوث في الكتب فقط، وليس لها وجود فعلي على أرض الواقع، كيف تنظرون إلى واقع المصرفية الإسلامية ومستقبلها؟

إن تجربة البنوك الإسلامية كانت ناجحة حتى بلغت أصول المؤسسات المالية الإسلامية نحو ٨٠٠ مليار، فالعملية لا تقتصر على إعداد الكتب والبحوث فقط، لكن الصيرفة الإسلامية تحتاج إلى جهود كبيرة وكثيرة وحشيدة، فرغم ما لديها من مقومات جيدة ومبادئ وأسس متينة، فهي تحتاج إلى إعداد كوادر أولاً، وإيجاد منتجات إسلامية حقيقة وليس منتجات ربوية مستنسخة وتعديل أسلوب التمويل العقاري والابتعاد عن عملية "التورق المنظم" المحرمة، واتباع الشفافية والالتزام بالقواعد المصرفية في إطار مبادئ العمل المصرفية الإسلامية.

هل فقه المعاملات هو الجانب التطبيقي لما يعرف اليوم بالاقتصاد الإسلامي؟ وكيف تطور هذا المفهوم؟

القضايا الاقتصادية ذات صلة بفقه المعاملات، لكن الاقتصاد الإسلامي لا يقتصر على العقود والمعاملات المالية فقط، بل يدخل فيه نظام الخراج والضرائب وميزانية الدولة، إلى جانب المبادئ والأصول التي يبني عليها نظام الاقتصاد في الإسلام، فالاقتصاد الإسلامي مفهوم عام شامل، وفقه المعاملات جزء منه.

من الصعوبات التي تواجه المصرفية الإسلامية تدريب الموظفين وتأهيلهم للعمل في هذا النوع من العمل المصرفي، حيث يتطلب إعداد الموظف من الناحية الشرعية، إضافة إلى التدريب على العمل المصرفي نفسه، بينما تدريب الموظف للعمل في المصارف التقليدية الأخرى أسهل بكثير .. هل مثل هذا الطرح صحيح؟

لا شك أن المشكلة قائمة سواء كان في مجال التأهيل الشرعي أو التأهيل الوظيفي، إن لقسم البحوث والدراسات في بنك التنمية وكذلك مؤسسة دلة البركة جهوداً مشكورة، لكن الموضوع يحتاج إلى معاهد متخصصة لإعداد الكوادر، إن مناهج الكليات الشرعية الحالية ليست كافية للتأهيل الشرعي في القضايا المالية المعاصرة، فهناك حاجة إلى تكثيف الجهد، كذلك نظام التدريب أيضاً يجب أن يكون أكثر تطوراً.

إن موضوع الرقابة الشرعية كان موضع اهتمام رائد الصيرفة الإسلامية الشيخ صالح كامل - حفظه الله - أتمنى أن تثال مكانتها، لأن ضعف الرقابة الشرعية يفقد الثقة من ناحية و يؤدي إلى تكرار الخطأ في المؤسسات المالية الإسلامية، فإن تطور الصيرفة الإسلامية منوط أولاً بالفقهاء المؤهلين الذين يملكون الشجاعة لقول الحق وبالكادر المؤهل ثانياً لإدارة الأمور.

ذكرت أنباء صحافية أن الحكومة الهندية تحطط للقيام بإصلاحات مصرافية داخل نظامها المالي تشمل عدداً من المؤسسات المالية الكبرى، بهدف تقديم خدمات التمويل الإسلامي، في تقديركم هل جاءت هذه الخطوة بسبب ضغط المسلمين الهنود ورفضهم التعامل مع البرامج الربوية، أم أنها رغبة لاستقطاب الاستثمارات من دول شرق أوسطية؟ أم أن الحكومة الهندية رغبت في أن تحرز لها مقعداً في قافلة نجاح الاقتصاد الإسلامي - كما صرح بذلك نائب رئيس مجلس

**الشيخ الهندي؟**

الحكومة الهندية لم تسمح إلى الآن بإنشاء البنوك الإسلامية أو المؤسسات المالية الإسلامية، لكنها ترغب بشدة في استقطاب الاستثمار ولو كان عن طريق التمويل الإسلامي.

فما جاء على لسان نائب رئيس مجلس الشيخ هو مجرد إبداء الرغبة، وهذا مؤشر إيجابي، ونظراً إلى أن الهند حاليًا تشهد نمواً اقتصادياً جيداً، وهي دولة ناهضة اقتصادياً تهافت عليها الدول والشركات العالمية، فيجب على المسلمين أيضاً اغتنام الفرصة والمحاولة الجادة لإنشاء مؤسسات مالية إسلامية فاعلة يديرها رجال ذوى كفاءات عالية تحت إشراف فقهاء من ذوى الزاهة والإخلاص.

## **الشيخ بدر القاسمي: إذا أسلمت المرأة وبقي زوجها كافراً فرق بينهما**

رسالة الإسلام - الملتقى الفقهي - فضل الله ممتاز  
فضيلة الشيخ بدر الحسن القاسمي نائب رئيس مجمع الفقه  
الإسلامي بالهند من العلماء الموسوعيين المعروفين بمشاركاتهم  
وأنشطتهم الفقهية وحضورهم المستمر في الندوات والمؤتمرات العلمية  
وال الفكرية في مختلف أنحاء عالمنا الإسلامي وكان آخر مشاركاته في  
ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني في الرياض .. وحرصاً من  
القائمين على شبكة رسالة الإسلام - موقع الملتقى الفقهي - وانطلاقاً  
من رسالتهم وهي استضافة العلماء لإجراء الحوار معهم وإبراز جهودهم  
وبيان مسالكهم الاجتهادية، وتصوير واقعهم بالأساليب الإعلامية  
المتطورة، التقى محرر الملتقى الفقهي بفضيلته في فندق مداريم كراون  
باليرياض على هامش ندوة "السلفية .. منهج شرعي ومطلب وطني" التي  
استضافتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية واختتمت فعالياتها  
مساء الأربعاء ٢٨-١٢-٢٠١١م، وأجرى الحوار التالي:

**الزواج الصوري ليس له أساس في الشريعة الإسلامية**  
فضيلة الشيخ بدر القاسمي بحكم اهتمامكم بفقه المغتربين ما  
رأيكم في النكاح الصوري علمًا بأن بعض الناس يلجؤون إلى هذا النكاح

لتحقيق أغراض معينة مثل الحصول على جنسية دولة معينة وما شابهها؟  
الزواج الصوري ليس له أساس في الشرع الإسلامي لأن النكاح  
رباط وثيق له أهمية وكراهة وليس من الأمور الشكلية أو المعاملات  
الصورية التي ليست لها حقيقة ولا مصداقية بل وصف عقد النكاح في  
القرآن الكريم بالميثاق الغليظ.

إذا أقدم شخص بعقد قران مع فتاة ولم يكن بينهما موانع شرعية  
مؤبدة أو مؤقتة وتوفرت شروط العقد وتم العقد بحضور الشهود فيصير  
العقد نافذا ولا يقى شكلياً أو صورياً سواء كان الهدف هو الحصول  
على الجنسية أو تحقيق غرض وظيفي أو سياسي لأنه لا مجال للمزاح  
في النكاح حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه  
الإمام أبو داؤد: "ثلاثة جدهن جد، وهزلاهن جد، النكاح، والطلاق  
والرجعة" وروى الإمام الترمذى أيضاً الحديث وقال: هذا حديث حسن  
غريب والعمل على هذا عند أهل العلم، لذا لا نرى مبرراً للعقود الصورية  
من أجل الحصول على الجنسية أو لهدف آخر فإذا عقد شخص عقداً  
صورياً فسوف يكون حقيقياً ونافذاً ويعتبر جعله شكلياً أمراً لاغياً.

**يترتب على النكاح الصوري كافة الأحكام مثل المهر والنفقة  
والسكنى**

وهل يترتب على هذا العقد أحكام معينة؟

نعم يترتب على مثل هذه العقود كافة الأحكام من المهر والنفقة والسكنى للمرأة، كما أن الفتاة لا يجوز لها أن تتزوج بفتى آخر ظناً منها أن العقد السابق كان صورياً وليس حقيقياً بل يجب عليها أن تنتظر الطلاق أو الفرقة من زوجها "الصوري" عقداً "والحقيقي" شرعاً.

فضيلة الشيخ هناك مسألة مهمة وخطيرة في الوقت نفسه ألا وهي مسألة زواج المسلمة بغير المسلم فلو تحدثنا عن هذه المسألة بشيء من التفصيل؟

في تزويج المسلمات بالكافار تعريض لهن لفساد العقيدة لقد أجمع الفقهاء على أن المرأة إذا كانت مسلمة فلا بد لصحة النكاح أن يكون الزوج مسلماً لأنه لا يجوز زواج مسلمة بكافر واستدل الفقهاء على ذلك بالآية القرآنية: "ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمّنوا" قوله سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ إِنْ عَلِمْتُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ لِهِنَّ مُحْلِّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ

عليكم أن تنکحون إذا آتيموهن أجورهن ولا تمسكوا بعض الكوافر  
واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلکم حکم الله يحکم بينکم والله  
علیم حکیم" (الممتحنة: ١٠). فقد نهى الله سبحانه وتعالی في الآية  
الأولی عن زواج المؤمنات بالمرکین والهی يقتضی الفساد والعلة التي  
وردت في هذا الأمر هي: الدعاء إلى النار، وهذه العلة تعم جميع  
الکفار فیشمل عدم جواز نکاح المسلمة مع كافة أنواع الکفار یهوداً  
كانوا أو نصاری، وثیین كانوا أو شیوعیین، ملحدین كانوا أو من  
المجوس أو البهائیة والقادیانیة.

والآیة الثانية تنص على أن المرأة المسلمة إذا تزوجت برجل کافر  
یكون النکاح باطلًا غير مؤثر في حل المرأة للرجل لقوله تعالی: "لا هن  
حل لهم ولا هم یحلون لهن".

بعد بيانکم لحرمة زواج المسلمة بغير المسلم هل هناك دليل  
عقلی یشهد لذلك وما الأخطار المترتبة على مثل هذا العقد  
المحرم؟

نعم العقل أيضاً یؤید عدم زواج مسلمة بکافر حيث أن النساء لما  
کن تابعات للرجال ففي تزويج المسلمات بالکفار تعريض لهن لفساد  
العقيدة، فلما كان الکفار بسبب فساد عقیدتهم یدعون إلى النار  
فالواجب على المسلمة أن لا تستجيب لهم ولا ترتبط بالعلاقة الزوجية

الموجبة للطاعة المؤدية إلى النار كما أن الرجال قوامون على النساء بما  
فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا.

ففي إجازة نكاح الكافر بالمؤمنة إثبات لقوامية الكافر على  
المؤمنة وولايته عليها مع أن الشرع قد قطع ولادة الكفار عن المؤمنين،  
يقول الله تعالى: "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً" (النساء:  
١٤١).

وما الحكم إذا أسلمت المرأة وبقي زوجها دينها وهذا ما يقع  
كثيراً في أوساط المسلمين خارج ديار الإسلام؟  
إذا أسلمت المرأة وبقي زوجها كافراً فرق بينهما وإن أسلم معها  
فيقران على نكاحهما أما إذا كان هناك ما يمنع عقد النكاح ابتداء فلا  
يقران، ويفرق بينهما، كمن يكون متزوجاً إحدى محارمه المؤبدة أو  
المؤقتة لأن ما يمنع ابتداء النكاح يمنع استدامته أيضاً.

الخوف من الفتنة على الدين من أسباب الهجرة  
المسلم الذي يعيش خارج ديار الإسلام ولا يخاف على نفسه  
الفتنة هل يجب عليه الهجرة؟  
المسلم الذي يعيش في دار الكفر ولا يخاف الفتنة على نفسه أو  
على أولاده فلا تجب عليه الهجرة إذا كان وائقاً أن بقاءه بين الكفار  
يعطيه فرصة أكبر لنشر عقيدة الإسلام والحفاظ على مصالح المسلمين.

وأقر النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بمكة مع أنه كان قادراً على الهجرة وكذلك أقر نعيم بن عبد الله النحام لأنه لم يكن هناك فتنة لهما.

ينطبق على البهائية والقاديانية وأمثالها ما ينطبق على الكفار  
هناك مذاهب وطوائف وفرق معاصرة لها أنشطة مكشفة في  
الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وتدعى الإسلام  
بهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم بما هذه الفرق وما  
حكم الإسلام فيهم؟

هذا السؤال في غاية الأهمية وأنا أريد أن أوضح هذه المسألة من خلال شبكة رسالة الإسلام فهناك فئات مثل البهائية والبابية والقاديانية فهؤلاء كفار بإجماع علماء المسلمين، وكذلك الشيوعيون والدهريون والملحدون الذين لا يؤمنون بوجود الله نفسه، فهذه الفئات كلها ينطبق عليها ما ينطبق على الكفار والمرتكبين من الأحكام الفقهية فلا تحل ذبائحهم لكونهم مشركين أو كفار ولا تحل نسائهم لورود النهي صراحة في كتاب الله عزوجل وجود الأحاديث والآثار الواضحة والصريحة عن عدم جواز الزواج مع أي من الكفار والمرتكبين.  
وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

## شبهات حول السنة

يقول الإمام ابن الجوزي:

ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يبأين المعقول أو يخالف المنسوق أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع" (تهذيب الراوي ص: ١٠٠).

وقد أصبح تعبر الإمام ابن تيمية بمتابة مضرب المثل "إن المعقول الصحيح لا يخالف المنسوق الصحيح".

وهذا دليل صارخ على أن النقاد وصيارات الحديث لم يهملوا جانب الدراسة في قبول الحديث وغريلة الآثار وتمييز الصحيح من الضعيف والثابت من الموضوع، وكل من لن أدنى ممارسة بعلم مصطلح الحديث وفن الجرح والتعديل يعرف مدى الجهد الذي بذله الأئمة والأعلام في سبيل تنقية السنة من الشوائب وتنزية الشريعة من أكاذيب القصاص والوضاعين ومن ناحية أخرى. وقد أوجد الفقهاء المحدثون علم مشكل الحديث، لمعالجة ما أثير من قبل بعض ضعاف النفوس حول السنة فقام أمثال الإمام الشافعي والإمام الطحاوي، وابن قبيبة وابن فورك بدفع التعارض المختلق بين بعض الأحاديث وميزان العقل ودحض أباطيل الخصوم حول السنة حتى أصبح هذا العلم واضح

المبني، ثابت الأركان لا تزعزعه العواصف، ولا تأتي عليه الأعاصير. إن تمجيد العقل وتغليبه على الصد إطلاقاً كان من شيم المعتزلة الذين جعلوا الفلسفة اليونانية أساساً لتفكير ومقاييساً للحق وذلك بعد ما بلغت الأمة الإسلامية أوج مجدها وحققت انتصاراً تلو انتصار بقوة إيمانها ونقاء سريرتها وصفاء عقيدتها وغزت البلاد والأمصار بمبادئها ومثلها قبل أن تصل إليها جيوشها، ولم تكن المشاكل العقلية والشبهات التي أثيرة اعتباطية بل كانت مقدرة مخططة، من قبل الأعداء كما تحكي قصة رسول المؤمنون مع ملك الروم وأمين خزانة الكتب الراهب العجوز الذي أشار إلى الملك، بمنح تلك الكتب المسلمين قائلاً: "لا تدخل هذه الكتب في أمة إلا وتفسد عقيدتها" وكتب الملل والنحل خير شاهد على هذه الحقيقة.

غير أن حركة التشكيك في العقيدة الإسلامية كانت مزامنة لنشاط العلماء المسلمين من أجل تدوين المعارف المختلفة وتأليف الكتب في الفقه والحديث والعلوم الأخرى، وكانت البلاد الإسلامية كباقي زهر من العلماء الأعلام في كافة فنون المعرفة الذين اسكتوا كل المدافعين ودحضوا كافة الشبهات وذادوا عن حمى الشريعة وانتهت الأزمة الفكرية التي واجهتها الأمة قروناً وإن كانت آثارها ما زالت باقية في الأذهان لدى كثير من علماء المسلمين وإنتاجاتهم العلمية.

ومع ظهور الغزو الثقافي الجديد نشطت طلائع من المبشرين والمستشرقين بل كانوا هم أساطير الغزو الفكري الحديث وقدروا

الحملة الشرسة على كافة مقومات الفكر وحاولوا التشكيك في مصادر التشريع الأصلية وبثوا السموم حول المعتقدات الدينية ومهدوا الطريق للاستعمار السياسي وحاولوا قطع علاقة الجيل الناشئ من المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وقد وجدوا أذناً صاغية في بعض من انتهل من منها لهم الفكرية العكرة لقبول ونشر الأفكار المشبوهة في أوساط المسلمين فبدأت أصوات غولديهير، ومارغويت، وشاخت تردد في أوساط المثقفين وأفكارهم تروج في المجتمع الإسلامي كحقائق ثابتة ومبادئ سماوية من قبل بعض المغتربين، وقادري البصر والبصيرة، ومع أن هذه الموجة العارمة قد انتهت غير أن نماذج جديدة من المخدوعين ما زالت تظهر بين حين وآخر في صفوف المثقفين وهم يتعلقون بعض الآراء الرائفة من هنا وهناك ويحلون نقل قناعاتهم الناشئة من ضحالة الثقافة الدينية فيقدمون الآراء التي عفا عليها الزمان ويقدمونها كاكتشافات علمية جديدة ويدركون الشبهات التي أثيرت حول القرآن والسنة كأنها من أبكار أفكارهم ولم يتم النقاش حولها.

ومن هذا القبيل صنع أحد أصحاب دور النشر في بيروت وهو السيد عز الدين بليق جامع كتاب منهاج الصالحين الذي ثنى عمله بإصدار كتاب: موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، وجاء بدعوى عريضة وطعن في كتب الصحاح إلى جانب سب أئمة الحديث، وليته طبق الموازين الصحيحة في اختيار الأحاديث "منهاج الصالحين" قبل أن يقوم بجمع الأحاديث المستبعدة من

صحيحي الإمام البخاري ومسلم حسب زعمه. مع أن معظم الأفكار مجرد تكرار لإثارات الشيخ محمود شلتوت غفر الله له، أو لأفكاره القاديانيين الذين وضعوا أساس نبوة غلام أحمد الكاذبة على إنكار نزول المسيح. ويخطو في هذه الأيام خطوات أخرى ليظهر أمام الناس كمكتشف حوالي أربعين حديثاً موضوعة في صحيح البخاري ويعتبر ذلك خدمة للسنة في العجب، ورغم الموازين المختلفة التي يختارها للطعن في الأحاديث الصحيحة الثابتة يسب المحدثين فيقول في سياق كلامه عن نزول المسيح:

"أنه ليؤسفني أن أرى قوماً ظاهروا بالانتساب إلى الدين والغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، استباحوا لأنفسهم في سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه في شأن أحاديث عيسى" ويقول معلقاً على طريقهم: "وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة، لا رغبة في علم ولا غيرة على حق ولكن مكابرة وعناداً وإصراراً على التضليل وليقال على السنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ ومحدثون (ص: ١٨)."

فمن هؤلاء يا ترى الذي يصررون على أن أحاديث نزول المسيح عليه السلام متواترة. هم المحدثون الأعلام: الشوكاني، والسيوطى، والكتانى، والغمارى، والكسنيري، ومئات غيرهم يتهمهم هذا المجنون بالتلبيس والتمويه والجري وراء المادة وكسب الشهرة الزائفة والله در من قال:

"إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه" وصدق ما يعتاده من توهם.  
والله عاصم دينه من الماكرين والمخدوعين.  
وأصدر الرجل بعد ذلك كتيبات يستهزئ فيها من بعض الأحاديث  
الواردة في صحيح الإمام البخاري ويدعى كونها موضوعة لأن عقله لا  
يستطيع أن يفهمها، ويهمه كثيراً ورود حديث بين قصة موسى عليه  
السلام مع ملك الموت الوارد في صحيح الإمام البخاري مع أن الأوهام  
تتساول إلى ذهنه، قد أصيّب بها بعض ضعاف النفوس في القرون الأولى  
وقام بعض المحدثين الكبار بدفع تلك الأوهام منذ عهد مبكر، فلا  
ندري ما هو الجديد الذي يكتشفه العالم بهذه الدراسة الخرقاء التي  
يقوم بها السيد عز الدين بليق.

وإليكم نص الحديث النبوى الشريف مع كلام الإمام المحدث  
ابن حبان المتوفى عام ٤٣٥ هـ بعنوان "ذكر خبر شنع به من حرم  
ال توفيق لإدراك معناه".

حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاؤس، عن أبيه، عن  
أبي هريرة، قال: أرسل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ  
عينه، فرجع إلى ربه عزوجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت!  
قال: فرد الله عزوجل إليه عينه، وقال: ارجع إليه، فقل له يضع يده، على  
متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، فقال: أي رب، ثم م؟  
قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنى من الأرض المقدسة  
رمية بحجر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم

لأربتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر، يقول ابن حبان:  
"إن الله جل وعلا بعث رسوله صلى الله عليه وسلم معلماً لخلقه، فأنزله  
موضع الإبابة عن مراده، فبلغ صلى الله عليه وسلم مجمله ومفسره،  
عقلها عنه أصحابه أو بعضهم، وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناه  
من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق، وذلك: أن الله جل وعلا أرسل ملك  
الموت إلى موسى، رسالة ابتلاء واختبار، وأمره أن يقول له: أجب ربك  
ـ أمر اختبار وابتلاء، لا أمراً يريده الله جل وعلا إمضاءه، كما أمر خليله  
صلى الله على نبينا وعليه ـ بذبح ابنه، أمر اختبار وابتلاء، دون الأمر  
الذي أراد الله جل وعلا إمضاءه، فلما عزم على ذبح ابنه وتله للجبن ـ  
فداه بالذبح العظيم. وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسليه، في  
صور لا يعرفونها، كدخول الملائكة على إبراهيم ولم يعرفهم، حتى  
أوجس منهم خيفة، وكمجيء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسؤاله عن الإيمان والإسلام، فلم يعرفه المصطفى صلى الله عليه وسلم  
حتى ولي.

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان  
يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيوراً، فرأى في داره رجلاً  
لم يرده، فشال يده فلطمته، فأتت لطمه على فقئ عينه التي في الصورة  
التي يتصور بها، لا الصورة التي خلقه الله عليها، ولما كان المتصفح عن  
نبينا صلى الله عليه وسلم في خبر ابن عباس، حيث قال: أمني جبريل  
عند البيت مرتين، فذكر الخبر، وقال في أخره: هذا وقتك ووقت

الأنبياء قبلك، كان في هذا الخبر البيان الواضح أن بعض شرائنا قد يتفق بعض شرائع من قبلنا من الأمم.

ولما كان من شريعتنا أن من فقاً عين الداخل داره بغير إذنه، أو الناظر في بيته بغير أمره، فمن غير جناح على فاعله، ولا حرج على مرتكبه، للأخبار الجمة الواردة فيه، التي أمليناها في غير موضع من كتبنا كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة شريعة موسى، بإسقاط الحرج عن فقاً عين الداخل داره بغير إذنه، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحاً له، ولا حرج عليه في فعله، فلما رجع ملك الموت إلى ربه، وأخبره بما كان من موسى فيه، أمره ثانياً بأمر آخر، أمر اختبار وابتلاء – كما ذكرنا قبل – إذ قال الله له: إن شئت فضع يدك على متن ثور ذلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة. فلما علم موسى – كليم الله صلى الله على نبينا وعليه – أنه ملك الموت، وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت، ولم يستمهل، وقال: فالآن، فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى، عدد تيقنه وعلمه به. ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الخطب، ورعاية الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يؤجرون عليه! ويقولون بما يبطله الإسلام! جهلاً منه بمعانى الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمداً في ذلك على رأيه المنكوس، وقياسه المعكوس".

حتى قال بعض منهم: "والله لو عرف الملوك ما نحن فيه من لذة وسکينة لنافسونا ولجالدونا عليه بالسيوف".

وقد بلغ القرآن الذروة في البلاغة والإعجاز بتعبيره عما يتمتع به أهل الجنة: "وفيها ما تشتهيه الألأنفس" من فنون الملاذ "وتلذ الألعين" وتقر بمشاهدته.

فبعد ذكر صاحف من ذهب وأكواب طاف على أهل الجنة وفيها أنواع من الأطعمة والأشربة ذكر ما تشتهيه الألأنفس من المنكح والملابس ثم بعد تكامل المشتهيات النفسانية ذكر اللذة الكبرى وهي النظر إلى وجه الله الكريم.

وقد نقل الإمام المفسر الآلوسي رحمه الله شرعاً لطيفاً لقيس بن ملوح في بيان أهمية النظر ولذته:

ولقد همت بقتلها من حبها      كيما تكون خصيمتي في المحشر حتى يطول على الصراط وقوفنا      وتلذ عيني من الذي المنظر ثم نقل الإمام جعفر الصادق رحمه الله أنه شتان بين ما تشتهيه الألأنفس وبين ما تلذ الألعين لأن جميع ما في الجنة من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الألعين لأن أصبح كتغمض في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية لأنها مخلوقة ولا تلذ عين في الدار الباقي إلا بالنظر إلى الباقي جل وعز ولا حد لذلك ولا صفة ولا نهاية.

إن العين مقدمة القلب في الاشتقاء بل قيل إنها جاسوس القلب

فالقرآن الكريم جمع في جملتين قصيرتين جميع ما يستمتع به الإنسان من المأكل، والمشرب والمنظر والملمس ثم أكد أن تلك النعم تكون خالدة لأن كل نعيم زائل يصاحب خوف الزوال لذا قيل:

للماء خير من نعيم زائل  
وإذا نظرت فإن بؤسا زائلا

فالقول بأن القرآن فرق بين الرجل والمرأة وأعطى للرجل أكثر من المرأة من نعيم الجنة، من الوساوس والأوهام وإنما:

- فالقرآن يستخدم لفظ "الأنفس" وهو يشمل على الرجل والمرأة على حد سواء.

- لذة المأكل والمشرب والمنظر كما تحصل للرجال تحصل للنساء أيضاً فلكل منهما حظ ونصيب.

- أما لذة المنكح فلا يمكن أن يتم على سبيل الإفراد فالرجل والمرأة كلاهما شريكان في ذلك بالمناصفة بل بالكمال والتمام فتخصيص النساء للرجال مثل تخصيص الرجال للنساء فأين التفضيل؟ وأما الحور العين فخلق جديد ونحبه كريمة من صنف النساء يكن أمانى أهل الجنة وقرة أعين الصالحين الأنقياء والطاهرين الأصفياء.

- وهناك نقطة أخرى أن العجائز الرمص الشمط من دميمات الأشكال يتتحولن في الجنة إلى عذاري عُرب أتراب يكسو أجسادهن النور وأجسامهن الحرير بيض الوجوه خضر اللباس صفر الحلبي يشاركن أزواجهن في الالتذاذ بنعيم الجنة.

ولعل من باب الطرافه ذكر ما نقله الإمام السيوطي وابن عابدين الشامي عن العلامة ابن عقيل الحنبلي: جرت مسألة بين أبي علي ابن الوليد المعتزلي وبين يوسف القرويبي حول وجود ما يسمى "الشذوذ" في الجنة، فقال ابن الوليد المعتزلي: لا يمنع أن يجعل ذلك من جملة اللذات في الجنة لزوال المفسدة لأنه إنما يمنع في الدنيا لما فيه من قطع السل وكونه محلاً للأذى وليس في الجنة ذلك، كما يمنع شرب الخمر لما فيه من السكر وغاية العربدة وزوال العقل ولا يمنع من ذلك في الجنة لزوال الغول: لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون: فقال أبو يوسف القرويبي، الميل إلى الذكور أو الشذوذ: عاهة وهو قبيح في نفسه لأنه محل لم يخلق لذلك ولذا لم يبح في أي شريعة بخلاف الخمر، وهو مخرج الحدث والجنة نزهت عن العاهات".

فأصر ابن الوليد المعتزلي على موقفه متحججاً بأن العاهة بسبب التلوث بالأذى وهناك لا يبقى إلا مجرد الانذار، وكما ترون أن كلام القرويبي أقرب إلى الفطرة السليمة النقية وإن كان المعتزلي أيضاً لا تنقصه قوة الجدل (راجع رد المختار للشامي: ص: ٦/٣٩).

ويقول الآلوسي دفعاً لم يخطر في بال بعض الناس: "ولا يشكل على العموم أن اللواطه مثلاً لا تكون في الجنة لأن ما لا يليق أن يكون فيها لا يشتهيه أهل الجنة بل قيل إنه لا يشتهيها في الدنيا الأنفس السليمة إطلاقاً" (روح المعاني).

وخلاله القول أن لذات الجنة عامة سواء كانت للرجال

والأطفال أو النساء من ذوات الخدور وربات الحجال والله سبحانه  
تعالى كما خص للرجال الحور العين وخيار النساء كذلك خص  
للنساء متزوجات كن، أم عوانس، أو أوانس، أو مطلقات، خيار الرجال.

## مقاصد الشريعة بين الرفض والقبول

منذ ما يقارب من ثلاثة أرباع القرن يلاحظ ازدياد الاهتمام بموضوع "مقاصد الشريعة" وكانت بدايته من ظهور كتاب "المواقفات" للإمام الشاطبي في بداية القرن الماضي في مصر باهتمام الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا بعد ما ظل الكتاب مغموراً مطموراً بين كتب التراث الراخمة منذ قرون وقرون.

فبرز اسم الإمام الشاطبي و"مواقفاته" ثم ظهر اسم العالمة محمد الطاهر بن عاشور وكتابه عن مقاصد الشريعة، وأصبح الموضوع موضع اهتمام الباحثين في القضايا الفقهية المعاصرة، فكثرت الكتابات حولهما شرقاً وغرباً وأنشئت مراكز خاصة لدراسة "مقاصد الشريعة" وظهرت كتب كثيرة مفيدة ونافعة ودراسات جديرة بالاهتمام، وأصبح عنوان "مقاصد الشريعة" هم الدارسين والباحثين من ماليزيا شرقاً إلى "مراكش" غرباً. وتهافت الناس على إبرازها والاعتماد عليها والاستدلال بها بل وجعلها شماعة لكل اتجاه جديد وفكر وليد وتطور الأمر إلى درجة استخدام اصطلاح مقاصد الشريعة لتبرير كل فكر تجددي مقبول كان أو مرفوض.

مع أن الأمر كما يقول العالمة المغربي علال الفاسي:  
مقاصد الشريعة ليست مصدراً خارجياً عن الشعع الإسلامي

ولكنها من صميمه، وأن الشارع هو الذي جعل المقاصد علامات على الحكم الذي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين (مقاصد الشريعة ومكارمها ص: ٥١-٥٧).

ويقول الإمام الجويني:

"لا أبتدع ولا أخترع شيئاً، بل ألاحظ وضع الشرع وأشير معنى ما أراه وأتحرّاه وهكذا سهل التصرف في الواقع المستجدة التي لا توجد فيها أوجبة معدة".

إن القضاء غايتها العدالة وهي من صميم مقاصد الشريعة وتطبيقاته منذ بداية الاحتكام إلى النص وان تزيل الأحكام على الواقع وكذلك مبدأ التغير في الأحكام لتغيير الظروف والأزمنة هي قاعدة مارسها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

إن للعقل مدخل في معرفة المقاصد لأن من مسائلك معرفتها الاستقراء، أما النسخ فدليله النص فقط فلا يعرف إلا من الوحي فلا نسخ إلا من الله ولا بлаг إلا به لأن النسخ بيان في حق الله وتبدل في حق العباد.

والذين رفضوا الاهتمام بالمقاصد يقولون:

"إن مقاصد الشريعة لا يمكن تحديدها دون ادعاء العلم بمقاصد الله تعالى من دون علم محيط".

وإن القول بعلم المقاصد يعد المدخل الأساسي لكل إلحاد ولا ينبغي الخلط بين القول به والقول بالحكمة الإلهية. أما التعليل فيجب

أن يكون مقتضرا على محله حتى لا يلزم الإدعاء بعلم الغيب والتقول  
على الله من غير حق.

كما يبغي التحديد أنه هل العبادة مقصودة لذاتها من خلقنا  
وإن الله تعالى يريد لها لذاته لا لمنافع دنيوية تعود علينا؟

أما النظر إلى المذاهب الفقهية فيضع حفائق أمامنا وتوحي  
عبارات إلى أن المقاصد لها اعتبار في الأحكام الشرعية:

١. يقول الإمام السرخسي في مبوسطه:

"أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان يأخذ في ضوال الإبل  
بمذهب عثمان، وكانت قبله تترك وشأنها فمعها غذاءها وسقاءها. وقد  
علل ذلك الإمام أبوحنيفه بقوله:

"كان في الابتداء الغلبة لأهل الصالح والخير، ولا تصل إليها  
يد خائنة إذا تركها واجدها، فأما في زماننا فلا يأمن واجدها وصول يد  
خائنة إليها بعده، ففي أخذها إحياءها وحفظها على صاحبها فهو أولى  
من تضييعها" (المبوسط ١١/١١).

وهذا هو تطبيق مبدأ حفظ المال.

أما مالك رحمه الله فهو أكثر الفقهاء أخذًا بعمل أهل المدينة،  
والصالح المرسلة وسد الذرائع.

ومع أن الإمام الشافعي كان يرفض الاستحسان أصبح أتباع  
مذهبه أكثر الناس أخذًا بالمقاصد مثل الجويني والغزالى، والعز بن  
عبد السلام.

كذلك الأمر عند الإمام أحمد بن حببل رحمه الله مع أنه  
محدث أصلاً وفقيه عرضاً.

وحتى كتب الشيعة تنص على أنه:

اتفقت كل الأصحاب على تبعية الأحكام للمصالح والمقاصد،  
وأنه لا واجب إلا لمصلحة في فعله، ولا حرام إلا لمفسدة في اقترافه  
(أصول الشريعة لشريف المرتضى ٥٧/٦).

المقاصد عند المتقدمين:

حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال والعرض، وهي  
التي تذكر في أبواب المصالح ثم يأتي دور الضرورات وال حاجيات  
والتحسينات.

أما المعاصرلون فأصبح التركيز عندهم على: السماحة والتسير  
والعدل والحرية.

وكذلك عدم الإضرار بالمرأة، والردع في باب العقوبات ومنع  
الغرر في باب المعاملات المالية ومقصد رفع الحرج. واختصار البعض:  
التوحيد والتزكية وال عمران، وعبر البعض عنها: بتصحيح العقائد، وتقرير  
كرامة الإنسان وحقوقه، والدعوة إلى عبادة الله، وتركية النفس البشرية،  
وتقويم الأخلاق، وتكوين الأسرة الصالحة، وإنصاف المرأة، وبناء الأمة،  
والدعوة إلى عالم مسالم متعاون تسوده روح الإنسانية.

وننص كتب الإباضية على أن:

**التكليف ثلاثة أقسام:**

- قسم أمر المكلفون باعتقاده
- وقسم أمروا بفعله
- وقسم أمروا بالكف عنه

**فما أمروا الكف عنه على ثلاثة أقسام:**

- قسم لإحياء نفوسهم كالنهي عن القتل وأكل الخبائث والسموم وشرب الخمور المفسدة للعقل.
- وقسم لاتلافهم وإصلاح ذات بينهم كالنهي عن الغصب والظلم المفضي إلى الفساد بين العباد، وانتشار الفوضى في البلاد.
- وقسم لحفظ النسل وتعظيم محارمهم كالنهي عن الزنا ونكاح ذوات المحارم.

ولا شك أن الموضوع مرتبط بفقه التنزيل أو فقه تنقية المناط وتحقيقه وهو أصل فعال لحل المستجدات في كل عصر ومصر لذا يجب مراعاة منهجية التقنيين ومنهجية التطبيق.  
وهناك فرق بين الحكمة والمصلحة، والمصلحة المرسلة فالمقاصد تستقرأ من النصوص أما المصالح المرسلة فلا يشهد لها الدليل لا باعتباره ولا بـالغائه.

\* \* \*

## وصية الإمام أبي يوسف لل الخليفة هارون الرشيد العباسي

إن الموعظ من الوسائل التربوية الأساسية، وهي عبارة عن تذكير مقترن بالترغيب، أو تنفير مقترن بالإنذار والترهيب وهي تفعل فعل السحر في تليين القلوب وتشحيد الهمم وتهذيب الأذهان والنفس وتحذير دوراً بارزاً في تغيير السلوك وإصلاح المجتمع الإنساني وذلك من خلال نشر الفضائل، والقضاء على الرذائل.

وقد وصف القرآن الكريم بأنه "موعظة" و"ذكرى" للمتقين وقد استخدمها زعماء الإصلاح ورواد حركات الإصلاح والتجدد عبر القرون لکبح جماح النفوس المتمردة والطائع المستعصية الشريرة في مهمتهم لنشر مبادئ الخير والسعادة وتهذيب النفوس الإنسانية.

وقد عد القرآن الكريم "الموعظة الحسنة" من أهم وأنفذ وسائل الدعوة إلى الله وإلى سبيل رب العالمين. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكبر واعظ في التاريخ، وخير ناطق من البشر، وتميز صلى الله عليه وسلم في خطبه ومواعظه بإيجاز حروفه، ونصاعة بيانه، ومتانة أسلوبه، وجذالة قوله، وصحة معانيه، ورقة ألفاظه، وإن خطبه ومواعظه صلى الله عليه وسلم وهي قوية التأثير، سامية المعاني والموضوعات.

أما الوصايا فهي وعاء حكمة الأمم وخزائن تجاربها، وهي بمثابة سجل صادق لأنماط العلاقات الأسرية والاجتماعية، وانعكاس حي لتطور

القيم والأفكار، تتناقلها الأجيال كتراث أدبي خالد وهي تميّز بمتانة السبك، وجودة التقسيم، وقصر العبارة، مما يساعد في حفظها ونقلها.

كانت الوصايا قبل بزوغ فجر الإسلام – سوى ما تضمنته الكتب السماوية السابقة وما جرى على ألسنة الأنبياء والحكماء والمرسلين – ذات أهداف محدودة جاءت كن الصائح من كبار السن للأجيال الناشئة أو توجيهات الآباء إلى الأبناء، والأمهات إلى البنات وهناك نماذج من وصايا حكماء العرب كأكثم بن صيفي، وقس بن ساعدة الأيدادي، والأفوه الأودي، كما أن هناك وصايا وحكم في ثنايا الشعر الجاهلي إضافة إلى ما جرى على ألسنة الأعراب من كلمات الحكمة وهي در متداولة في كتب الأدب العربي.

وقد جعل القرآن الكريم مبادئ الدين الحنيف كلها وصية من وصايا رب سبحانه. قال تعالى:

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تنفرقوا فيه" (الشوري: ١٣).

وإن لفظ الوصية بين البشر وإن افترن بالموت في بعض الآيات لكن لا تقتصر اطلاقات على ما يوجهه الإنسان إلى من يخلفه بل تطلق الوصية على كل قول عاقل رزين يحرص الإنسان على إيصاله إلى من يوصيه ويوجه له نصيحته.

يقول الله تعالى:

"ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً" (الأحقاف: ١٥).

ويقول:

"وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" (العصر: ٣).

ووصايا القرآن الكريم المتناثرة في سورها المختلفة خاصة في سورة الرعد والأنعام والإسراء والمؤمنون والشورى والحجر تتجلى فيها مظاهر بلاغة القرآن الكريم وإعجازه ودقة تعبيره وسحر أسلوبه وهي تميز بحالاتها وطلاوتها وقوتها تأثيرها وجمال أسلوبها على كافة الوصايا، وتعلن أنها ليست من كلام البشر بل إنها تنزيل من حكيم حميد.

تليها في روعة الأسلوب وبراعة التعبير وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة زاخرة بالحكمة والموعظة وإن كتب السنة مليئة بها نكتفي بذكر ثلاث منها:

١. روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكنيبي وقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يردد هذه الوصية ويزيد: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" (رواه البخاري في صحيحه).

٢. عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيثما كنت واتبع السيدة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن (رواه الترمذى).

. ٣ . ومن وصايات الشاملة الجامعة قوله صلى الله عليه وسلم:

"اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك  
تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب  
للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك،  
فإن كثرة الضحك تميت القلب" (رواه أحمد والترمذى).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أوضح العرب بيد أنه من  
قريش، وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، وهو كان مهبط الوحي، وعليه نزل  
القرآن المعجز الخالد، وكان قد أوتي جوامع الكلم، فمن الطبيعي أن  
تكون وصايات من جواهر الكلم وجوامعها ومن درر الألفاظ وغمرها،  
تتميز بدقة التعبير وقوه التأثير وجمال الألفاظ وشمول المعانى.

وبينما كان الحكماء قبل مجى الإسلام يعدون على الأصابع فقد  
جاء القرآن ليفجر الطاقات والمواهب، ويحول الأعراب الأخلاف إلى  
سادة الأمم وقادتها، فجرت ينابيع الحكمة على لسان الجيل الأمثل  
الذي تربى في أحضان الوحي، واستنشق عبر الرسالة والنبوة، وتلقى  
العلم ومن فم الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم فكثرت الوصايا  
وأصبحت الألسنة تكشف السر وتنشر الدر وتلفظ بالثنالي من الحكم  
والآمثال والدرر.

فكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم  
في طليعة الأووصياء والحكماء فيها هي الكلمات المختارة والأمثال  
النادرة والخطب والمواعظ الهدافة تزخر بها كتب السيرة

وال تاريخ وال تراجم نطق بها الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم  
أجمعين وهي ثروة أدبية قيمة.

فهناك وصايا عامة صدرت من أفواه الصحابة الأعلام كما إن  
هناك رسائل وجهها الخلفاء الراشدون إلى أمراء جنودهم وإلى عمال  
خلافتهم وانتشروا شرقاً وغرباً مع انتشار الإسلام وبنوغ الفجر بعد  
الظلم.

وهي نماذج حية صادقة معبرة هادفة راشدة تمثل الأدب  
الإسلامي الأصيل والنشر المثالي الفضيل، سواء جاء في نهج البلاغة  
أو الكتب الأخرى، الحافلة كصبح الأعشى للقلقشندى والعقد الفريد،  
والآمali والبيان والتبيين.

روائع الوصايا وبدائع الحكم والأفكار كثيرة ولكن أكتفى بذكر  
وصية واحدة ليست هي من عصر النبوة ولا من عصر الراشدين  
وموجهها ليس هو من الصحابة ولا من التابعين، ولا يأتي اسمه في قائمة  
الأدباء الأعلام والنابغين في اللغة والبلاغة ولم يشتهر في صف الخطباء  
والواعظين.

وإنما هو إمام في الفقه وبارع في الاجتهاد، وعرف ببراعته في  
القضاء، ولقب بقاضي قضاة المسلمين، وكان أستاذًا في الحديث  
لإمام أحمد بن حنبل الشيباني وتلميذًا نابغاً لإمام الأئمة أبي حنيفة  
النعمان رحمه الله وارثاً لعلومه وأميناً لمدارك اجتهاده، والذي بلغ نزاهته  
وإخلاصه درجة يخاطب بها ربه، قبل وفاته ويقول:

اللهم أنت تعلم أني لم آكل درهما حراماً قط وأنا أعلم (تاریخ  
بغداد: ١٧ / ٢٥٤ - ٢٥٥).

وربما لا يتبدّل الذهن إلى هذا الإمام الجليل في سياق الحديث عن الأدب أو المواقع والوصايا، ألا وهو الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري المتوفى عام (١٨٣ هـ) رئيس هيئة القضاء الأعلى في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد، والركن الثاني من أركان أوسع المذاهب الفقهية انتشاراً في أرجاء المعمورة، وأدّقها وأصلحها للحكم وإدارة شؤون البلاد في عصور الحضارات المتقدمة.

كتاب الخراج للإمام أبي يوسف من أهم وأوثق الكتب بإجماع العلماء والباحثين في نظام الدولة المالي في الإسلام، وأشهر من نار في علم أله الإمام أبو يوسف ردأ على الأسئلة التي وجهها إليه الخليفة العباسى هارون الرشيد ولسنا الآن بصدّ التعريف بكتاب الخراج وبيان ميزاته العلمية والفنية أو بصدّ الحديث عن مكانة الإمام أبي يوسف بين المجتهدين الأعلام فهذه قضايا موضوعات قتلها العلماء بحثاً ولها مناسبات أخرى، إنما الأمر الذي أريد أن أذكره الآن هي مقدمة كتاب الخراج التي كتبها الإمام أبو يوسف كسوطة للرد على الأسئلة الأربع والعشرين، فتحولت إلى وصية أدبية رائعة وموعظة باللغة التأثير تذكّرنا بوصايا كبار الزهاد والواعظين ومما يشد الانتباه هو موقف الإمام أبي يوسف من الخليفة وأسلوبه في قول الحق أمام الملك الذي كان يخاطب قطعة من السحاب في السماء قائلاً "أمطري حيث شئت فإن

خارجك سوف يصل إلى" والذي كانت تخضع أمامه رؤوس الأباطرة والملوك، هذا الأسلوب القوي في الخطاب لا يوجد إلا لدى أئمة الإصلاح من تاريخ الدعوة والعريمة يذكرنا بموافق الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وابن السماك، والإمام مالك، وابن حنبل، وأستاذ أبي يوسف الإمام أبي حنيفة النعمان والعز بن عبد السلام، ولا يملك مثل هذه الشجاعة إلا من كان على مكانة عالية من التقوى والإخلاص ولا يخاف في الله لومة لائم،وها هي بعض فقرات تلك الوصية الرائعة يذكر فيها الخليفة بإدراك المسؤولية أمام الله تعالى، وينذره ويحذر من العذاب الشديد إذا تهاون في أدائها ويقول لل الخليفة:

"وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعايته ما استرعاك ولا تنظر في ذلك إلا إليه وله فإنك إن لم تفعل تتغى عليك سهولة الهدى، وتتعمى في عينيك رسومه وتتضيق عليك رحابه وتتذكر ما تعرفه، وتعرف ما تذكره متمثلاً بقول عمر رضي الله عنه أيها الرعاء إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعونة على الخير، وقول علي رضي الله عنه لعمر حين استختلف: وإن أردت أن تلحق بصاحبك فارقع القميص، وانكس الإزار، واصصف النعل، وارقع الخف واقصر الأمل، وكل دون الشبع".

يبدأ وصيته بقوله:

إن الله قد قلدك أمراً عظيماً يا أمير المؤمنين، ثوابه أعظم الشواب، وعقابه أشد العقاب ثم يقول فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الرعية

فإن القوة في العمل يأذن الله ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فإنك إذا فعلت ذلك أضعت، وإن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل.

ويضيف قائلاً: واعمل لأجل مقبوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود، فإن ذلك المورد الحق، والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب وتقطع فيه الحجج لعزة ملك قهر جروته، والخلق له داخرون بين يديه، ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته، وكأن ذلك قد كان فكفي بالحسنة والندرة يؤمّن في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل ليوم تزل فيه الأقدام وتتغير فيه الألوان ويطول فيه القيام ويشتد فيه الحساب ثم يقول: فالله الله، فإن البقاء قليل والخطر عظيم والدنيا هالكة وهالك فيها والآخرة دار القرار فلا تلقين الله غداً وأنت سالك سبيل المعتددين".

هذه النبرة الإصلاحية لدى الإمام تدل على سمو نفسه وغاية تجرده ونزااته وكمال جرأته وشجاعته وتميز هذه الوصية ببراعة أسلوبها، وقوة تأثيرها، وتجلّي فيها شخصية أبي يوسف القوية ومكانته العلمية وهي ليست مثل كلام الوعاظين الذين يجمعون بين غث وسمين فقد استند أبو يوسف إلى أكثر من ٥٢ حديثاً وأثراً إلى جانب الآيات القرآنية فهي وصية عالم نابغ يزن الكلمات قبل أن يطلقها فتكون وصاياه دقيقة رقيقة وجامعة شاملة رحم الله أبي يوسف على هذه الوصية الطيبة ورحم أيضاً من كان فتح قلبه لتحمل مثل هذا النصح، وكان سبباً

لظهور هذا الكتاب النادر "كتاب الخراج" وهو كتاب فريد ودليل بارع في السياسة والاقتصاد، مفتاح اجتهاد للفقهاء وبرنامج عمل للحكام والملوك ينير الطريق ويهدى إلى سواء السبيل بإذن الله وتوفيقه.

## كتابة حياة الزبيدي بشكل موضوعي وتصحيح الخطأ

إن دولة الكويت تميزت بتبني مشروعات علمية وثقافية عديدة من بينها تحقيق وطباعة "تاج العروس من جواهر القاموس" للعلامة مرتضى البلكرامي الزبيدي وجاءت ندوة تاج العروس تتويجاً لهذا العمل العلمي وقد عقدها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب شاركت فيها مجموعة من ذوي الاختصاص في اللغة والأدب، وتستحق وزارة الإعلام الشكر على هذه المأثرة العلمية الخالدة ولدولة الكويت ما ثر ومفخر عديدة، من أهمها مشروع الموسوعة الفقهية يقوم قطاع البحوث والإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإعدادها ونشرها.

وقد استغرقت طباعة معجم تاج العروس نحو خمسة وثلاثين عاماً، بينما كان المؤلف لم يأخذ في تجميع مواد الكتاب أكثر من أربعة عشر عاماً.

لقد أحسن الدكتور حسين محمد نصار في ورقته التي قدمها في الندوة بالتبني على ما وقع فيه الدكتور عبد الستار أحمد فراج من التشكيك في مولد السيد مرتضى البلكرامي الزبيدي قائلاً: "ووقع الدكتور عبد الستار أحمد فراج في خطأين فظن أن وصف الزبيدي بالواسطي نسبة إلى واسط أو الواسطية من الأماكن التابعة لبلكرام وشك في قول القنوجي أصلاً لأن الزبيدي لم يصرح بأنه من مواليد الهند ولا

ذكر في التاج نهر جنج ولا واسط وإذا كان الزبيدي فعل ذلك فإنه أيضاً لم يصرح بمولده في زيد باليمن". ويقول الدكتور نصار: "إذا تتبينا مجرى حياة الزبيدي وجدنا أنه بقي في الهند إلى سن الثلثي".

ونظراً إلى أن خطأ الدكتور فراج مثبت في مقدمة كتاب "تاج العروس" (طبعة الوزارة) كان الموضوع يستحق الإيضاح أكثر والتوصية بتصحيح الخطأ في طبعات الكتاب المقبلة، وذلك لأن ما كتبه الدكتور فراج غير موضوعي، ويتنافي مع جميع ما كتبه السابقون واللاحقون من كتاب ترجمة الزبيدي باللغات الثلاث العربية والفارسية والهندية، وكان العالمة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي قد نبه على خطأ الدكتور فراج بعد صدور الجزء الأول من الكتاب من وزارة الإعلام وإطلاع الشيخ عليه ولكن لم يعر أحد اهتماماً به.

فإن ولادة الزبيدي في الهند أو انتماهه إلى بلكرام كمسقط رأسه فوق كل تشكيك، والمرجو من العلماء المحققين عرض الأمور كما هي دون الاعتبارات الأخرى من الجنس واللون فلا ينقص من شأن لسان العرب أن يكون مؤلفه أفريقي النسبة ولا قواعد النحو والبلاغة أن يكون أبرز من خدموها من ذوي الانتماء إلى زمخشر وجرجان أو يكون اسمه سيبويه أو غير ذلك لأن المواهب موزعة بين الشعوب، والعلم فضل من الله يؤتى به من يشاء، فالذين خدموا السنة معظمهم من بخاري ونيسابور، وسجستان وغيرها من البلاد.

ألم يكن الكتاب الذي استغرقت خدمته ٣٥ عاماً وصرفت على

طبعاته وإصداره أموال طائلة على أن تكون مقدمة الكتاب ضافية يكلف بها كاتب منصف، ويقدم دراسة متقدمة بدقة عن مسقط رأسه ونشأته وتكوينه بدل أن تلقى كلمات عابرة ويكتفي بذلك أربعة أو خمسة من الشيوخ الذين لم يرحم الزبيدي إلا بعد اكتماله ونضجه مع أن الإنسان يتأثر في حياته أكثر مما يراه في بداية حياته وعنفوان شبابه.

وهناك مصادر أهللت عند كتابة المقدمة مثل:

١. كتاب "آثار الكرام من تاريخ البلكرام" للعلامة غلام آزاد البلكريمي وهو من أسرته.

٢. ولم يحاول أحد منهم أن يطلع على "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للشيخ عبد الحي الحسني مع أنه كتاب معروف ومتداول وقد طبع أخيراً باسم الإعلام يمن في تاريخ الهند من الأعلام.

٣. لم يعر أحد اهتماماً بما كتبه القنوجي في "أبجد العلوم" أن له قرابة قريبة مع مؤلف تاج العروس. وما كتبه هو ليس من باب التخييص والتلخيص شأن متحقق هذا العصر.

٤. بل حاول الدكتور فراج أن يخلص من تصريح السيد مرتضى الحسيني الزبيدي بأنه التقى الإمام ولی الله الدھلوی والشيخ فاخر الإله آبادی وهمما من شيوخ الزبيدي بتأنیل لا يرضی به القائل.

وماذا يضير مؤلف التاج أن يولد في الهند، ويتلقي هناك العلم في

وقت كانت فيه الهند حاضرة العلم، يقصدها الأعلام من أطراف العالم  
كافة، وكم من عائلة عربية أصلية هاجرت إلى الهند واستقرت بها ثم  
هاجر بعض أفرادها إلى مكة واليمن وبدأ ينتسب إلى مهجوره؟  
لذا أرجو من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أن يكلف  
أحد الباحثين بكتابة تاريخ حياة الزبيدي بشكل موضوعي ويصحح  
الخطأ الذي وقع فيه محقق الجزء الأول من الكتاب.

وفيما يلي بعض ما كتبه السابقون عن السيد مرتضى الزبيدي:  
يقول النواب صديق حسن خان البوفالي القنوجي:  
"وأقول أن السيد أصله من السادة الواسطية من قصبة بلكرام  
وهي على خمس فراسخ من بلدتنا قنوج ما وراء نهر كنك".  
قال السيد العالمة مير غلام علي آزاد البلكرامي في "مآثر الكرام  
من تاريخ البلكرام" تحت ترجمة السيد قادری ما تعربیه: "ومن نبائمه  
(أی أسباطه) السيد محمد مرتضی بن السيد محمد بن السيد قادری،  
حصل الكتب العربية، ووفق في حداة السن لزيارة الحرمین الشریفین  
في سنة أربع وستين ومائة وألف هجریة، واكتسب علم الحديث الشریف  
في أماكن متبرکة، وهو نزیل زید الیمن في هذه الأيام يستند فن  
الحديث عند الشیخ عبد الحالق الزبيدي بارک الله في عمره وأولاده من  
الترقیات الدینیة انتهى".

قلت وقد أقام رحمه الله بزييد حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك  
واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلكرامها، وقد ذكر في

برنامجه الذي كتبه لسيد باسط علي بن السيد محمد بن السيد قادرى  
في مصر نحو من ثلاثة مشايخ له الذين أخذ عنهم العلم، وسمى  
منهم من علماء الهند ومشايخها الشيخ المحدث العلامة محمد فاخر  
بن محمد يحيى الإله آبادى المتخلص بالزائر، ومسند الوقت الشيخ  
ولي الله المحدث الدهلوى صاحب كتاب حجة الله البالغة قال  
وحضرت بمنزله في دلهى.

ويقول العلامة المحدث عبد الحي الكتانى في كتابه فهرس  
الفهارس: أصله من بلجرام قصبة على خمسة فراسخ من قرية وراء نهر  
جنج وبها ولد سنة ١٤٥ هـ كما أرخ هو نفسه ولادته في آخر إجازته  
لعمرو حموده الصفار التونسي وهي عندي بخطه واشتغل على المحدث  
فاخر الإله آبادى وولي الله الدهلوى (فهرس الفهارس ٥٢٧/١).

ويقول في تذكرة اسناد الإمام الدهلوى: أروي ما له من المرويات  
والمؤلفات من طرق منها بأسانيدنا إلى الحافظ مرتضى قال: وصلت إليه  
بدلهى وقرأت عليه الحديث ولقني الذكر وأجازني (١٧٩/١).

وقد أجاز له مشايخ المذاهب الأربعة وعلماء البلاد الشاسعة،  
ولقى الشيخ أبا الحسن بن محمد صادق السندي المدني صاحب  
الشرح على الصحاح الستة، والمولوى خير الدين السورى بن محمد  
زاهد وغيرهما.

ومؤلفاته المذكورة في البرنامج تزيد على مئة كتاب، ذكر مشايخه  
وكتبه فيه على ترتيب حروف الإعجام.

ويقول الشيخ عبد الحفيظ الحسني في ترجمته: الشيخ الإمام العالم المحدث: مرتضى بن محمد بن قادر بن ضياء الله الحسني الواسطي البلكرامي نزيل مصر ودفتها المشهور بالزيدي وهو صاحب "تاج العروس" شرح القاموس، ولد بمحروسة "بلكرام" سنة خمس وأربعين ومائة وألف، واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً، ثم خرج منها فجاء إلى "سنديله" و"وخير آباد" وقرأ على أساتذتها، ثم سافر إلى دلهي، وأخذ عن الشيخ ولی الله بن عبد الرحيم الدهلوی، ثم ذهب إلى "سورت" وأخذ عن الشيخ خیر الدین بن زاهد السورتی، وأقام عنده سنة، ثم سافر إلى الحجاز سنة أربع وستين وأقام بزيبد (فتح الراي) دارة علم معروفة باليمن.

ويذكر الشيخ عبد الحفيظ الحسني أسماء المصادر التي استقى منها المعلومات عن مؤلف التاج فيقول في نهاية ترجمته:

"ودفن بقبر أعده لنفسه بالمشهد المعروف بالسيدة الرقية. وانتهى من "بحر زخار" و "آثار الكرام" و "أبجد العلوم" و "النفس اليماني" و "نور الأ بصار" للسيد مؤمن بن حسن الشبلخي و "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" للشيخ عبد الرحمن الجبوتي الحنفي المصري".

وإذا كان بعض علماء الأزهر قد قاموا بنقل العبارات المكتوبة باللغة الفارسية إلى العربية أثناء طباعة كتاب كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد أعلى التهانوي مما المانع من الاطلاع على مصادر ترجمة

البلكريامي الزبيدي إذا كان بعضها مكتوباً بالفارسية أو الهندية.  
وبخاصة كتاب "مآثر الكرام في تاريخ بلكرام" له أهمية بالغة لأن  
مؤلفاته من عائلة الزبيدي نفسها، وكذلك ما كتبه المحدث الراحل  
حبيب الرحمن الأعظمي تعليقاً على خطأ الدكتور عبد الستار أحمد  
فراج يستحق العناية ويقطع الجدل في هذا الموضوع.